اتحاد المغرب العربي

«أفكـار أولى»

بقلم : **محمد بن الأصفر المحامي**

لم يقع بعد نشر معاهدة دول المغرب العربي ومن المنتظر أن يحصل ذلك بعد أن تتولى الهياكل الداخلية لكل بلد المصادقة عليها حسب النظم التي تعمل بها كل دولة عضو... وهذا الهيكل هو عادة السلطة التشريعية[1] إلا أن ذلك لا يمنع من الحديث حول بعض النقاط.

1 ـ كنفدرالية (الاتحاد التعاهدي أو التعاقدي) :

سأل أحد الصحفيين السيد وزير الشؤون الخارجية عن الطبيعة القانونية للاتحاد، هل هو (فدرالية) أم (كنفدرالية)؟ وذلك خلال الندوة الصحفية التي عقدها الوزير يوم 8-2-1989.

أجاب الوزير : عند نشر المعاهدة يتبين ذلك.

لكن، وحسب القانون الدستوري يمكن التأكيد بعد موكب مراكش أنه وقع الاختيار على الصيغة الكنفدرالية وذلك للأسباب الآتية :

أ ـ أن الوثيقة المنشئة للاتحاد هي : معاهدة دولية ممضاة من طرف رؤساء الدول.

ب ـ أنه لم يقع سن دستور اتحادي أعلى من دساتير الدول الأعضاء وبالتالي لم يقع تركيب حكومة وبرلمان وقضاء فدراليين أسمى وأعلى من الحكومات والبرلمانات وأجهزة قضاء الدول الأعضاء.

---

(1) الصيغ البرلمانية في المغرب العربي تضع عدة إشكاليات (راجع أطروحة الدكتور زهير مظفر) هذا وان النظام الليبي له بدوره إشكالياته الخاصة.

ولئن كان هذان السببان ليس وحدهما المحددين للطبيعة القانونية للكيان الجديد فإن وثيقة إنشائه هي من أهم عناصر التمييز بين الظاهرتين قانونيا وسياسيا (القانون الدستور هو حلقة الربط بين القانون العام وعلم السياسة).

وفي الشرق تسمى الكنفدرالية **الاتحاد التعاهدي** أما أول كتاب تونسي في القانون الدستوري باللغة العربية فإنه اختار عبارة **الاتحاد التعاقدي** (راجع : عبد الفتّاح عُمر ـ الوجيز في القانون الدستوري ـ ص 187) والصيغة اللغوية الثانية أكثر صراحة على الطابع الاتفاقي.

2 ـ مغرب الدول؛ مغرب الشعوب :

كان الجدل السياسي عند الأجيال السابقة حول المدخل الأنجع وقد لخص في عبارة **مغرب الدول؟ مغرب الشعوب؟ واختيار صيغة الكنفدرالية يبدو لأول وهلة قد حسم المسألة لفائدة مغرب الدول...**

لكن ضرورة المصادقة على الوثيقة المنشئة للاتحاد من طرف السلطة التشريعية لئن كانت **لا تساوي الاستفتاء**[2] في مدى صدق التعبير عن الارادة الشعبية فإنها ـ على الأقل نظريا ـ فيها محاولة تشريك الشعوب في بناء هذا الاتحاد...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أنه وحتى في صورة عدم ضرورة المصادقة من طرف السلطة التشريعية فإن شعوب المنطقة كلها ترغب في الوحدة... بل انها ترغب حتى في وحدة أشمل (من المحيط إلى الخليج) وأعمق أي أكثر من (كنفدرالية) التي هي أقرب ما يكون إلى المنظمة الدولية مثل جامعة الدول العربية. وبناء عليه فإن مدخل مغرب الدول لا ينفي أنه مغرب الشعوب.

3 ـ الوحدة العربية كهدف استراتيجي فما دخل البلدان الافريقية ؟

يتضح من النص الذي تلاه الملك الحسن الثاني عاهل المغرب أن الوحدة العربية هي غاية المنى وأن بناء الاتحاد المغربي يندرج في هذا المسار...

---

(2) الدستور التونسي يوجب الاستفتاء في مثل هذه الصورة.

...هذا الكلام يعني أن الاتحاد المغربي هو **هدف مرحلي** وأن الوحدة العربية هي **الهدف الاستراتيجي**...

إلا أن مسألة التفتح على البلدان الافريقية غير العربية يجعلنا في وضع متضارب مع الهدف الاستراتيجي... ولئن كانت سلطة القرار الوحيدة هي **مجلس الرئاسة**، ولئن كان **الاجماع** شرط صحّة القرارات فإننا نفترض ـ نظريا ـ أنه وقع قبول بلد افريقي غير عربي في الاتحاد المغربي بالرغم من خرق المفهوم الجغرافي الذي يجعل من المغرب محصورا في شمال افريقيا فماذا سنصنع للبلد الافريقي غير العربي يوم تحقيق الوحدة العربية هل سنطلب منه **إعلان عروبته**؟... هل ذلك ممكن؟... أم هل سنتخلى عنه؟

لا خلاف في أن الأفارقة غير العرب هم إلى جانب العالم الاسلامي غير العربي الجناحان الذي سيحلق بهما العالم العربي باعتباره الصدر لاحداث أكبر ثورة في النظام الاقتصادي العالمي إذا توصلنا فعلا إلى تحقيق الوحدات العربية والافريقية والاسلامية بما يجسم فعلا التعاون جنوب ـ جنوب... لكن ليس هناك أي مبرر ـ ولو مرحليا ـ لأن تضم الوحدة الأفارقة غير العرب...

كان بالامكان تفهم هذا التوجه لو كتب لمعاهدة وحدة المبرمة بين ليبيا والمغرب سنة 1984 تحت اسم **الاتحاد العربي الافريقي** أن تستقطب بلدانا افريقية غير عربية بحيث أن سابقية الالتزام تفرض على المغرب وليبيا دخول الاتحاد المغربي بهذا الشرط لكن شيئا من ذلك لم يحدث فالأفضل عدم إثقال طريق الاتحاد بأوزار لسنا في حاجة إليها.

4 ـ الوحدة العربية كهدف استراتيجي والمجموعة الأوروبية :

كانت المغرب حاولت الدخول للمجموعة الأوروبية بالرغم من الواقع الجغرافي ولما التفتت إلى بناء الاتحاد المغربي تصورنا أنه وقع العدول عن هذه الفكرة بالمرة... لكن في الندوة الصحفية التي عقدها العاهل المغربي اتضح أنه مازالت آمال عند المغرب في مثل هذا التوجه بل ان العاهل المغربي ينوي محاولة ضم كل بلدان الاتحاد المغربي إلى المجموعة الأوروبية !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل هذا يسهل البلوغ إلى الهدف الأقصى وهو الوحدة العربية ؟

هل سيصبح العالم كله 3 دول؟ الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، والاتحاد السوفياتي من جهة ثانية، والمجموعة الأوروبية وراءها العالم العربي وافريقيا من جهة ثالثة.

وأي اتحاد تمتد أراضيه من أوروبا إلى افريقيا وآسيا ؟

5 ـ الخيار الاقتصادي كمدخل :

نتوقع كل النجاح للاتحاد المغربي إذ ألح على الاقتصاد كمدخل وأكد أنه سيعمل على تحقيق المشاريع الاقتصادية المشتركة... وهذه أجلى صور الاتحاد فيما كانت بقية صوره أقل وضوحا مثلما رأينا.

6 ـ التخلي عن اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي !؟

بقطع النظر عن الدور الذي عهد به للجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي... وبقطع النظر عن الأفكار السياسية التي قد يكون وقع تمريرها من خلال هذا الجهاز، فإن اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي قامت بدراسات لا يمكن بحال الاستغناء عنها في بناء أي شكل من أشكال التوحيد المغربي (راجع كتاب : المغرب العربي نداء المستقبل للأستاذ مصطفى الفيلالي وكذلك أطروحة الأستاذ الحبيب سليم).

أوليس من الأفضل تحويل هذه اللجنة الاستشارية للمغرب العربي إلى هيكل اتحادي خاصة وأن المجال مايزال متاحا لذلك فاللجان الوزارية المتخصصة لم تحدد نوعا وعددا إلى الآن.

7 ـ كتابة الدولة للشؤون المغربية :

بادر رئيس الدولة التونسية بترجمة توجهاته المغاربية بتأسيس كتابة دولة للشؤون المغربية... وواضح أن كتابة الدولة المذكورة هي من مشمولات السيادة التونسية وليست هيكلا اتحاديا... هذه رؤية صائبة لتنسيق العمل

المغربي. فكتابة الدولة ستكون حلقة الربط بين مختلف الوزارات التونسية (الاقتصاد، الفلاحة، المالية، الخ...) والأجهزة الاتحادية (الأمانة العامة، مجلس الرئاسة...) وبهذا الشكل تجد الهياكل الاتحادية مخاطبا واحدا يربط العلاقة بينها وبين الادارة التونسية المتشعبة... فكرة يحسن تعميمها في كل دول الاتحاد سواء في شكل أمانة، أو كتابة دولة، أو مندوبية، أو وزارة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَاتِحَةُ الكَلَامْ

شعر : **محمّد العياشي طاع الله**

حَسْنَاءُ فِي أحضانها انتجع الفؤاد
هِيَ في دَمي
هِيَ في فَمِي
طِفْلٌ يزجُّ بحلمه لفراشتينْ
قَمرٌ نما في ليلتينْ
حسناءُ في أحضانها انتجع الفؤادْ
حسناءُ ،، يألفها الشّعرُ وتعبُدُها الجيادْ

في كفِّهَا اليمْنى السَّنابل والحمام
وباليُسرى تلوّح من بعِيدْ
تفّاحة الشّهواتِ تشتاق الغرامْ
سَيْلٌ من العشقِ المصرّج بالحرام

كم تَعْشَقُ الأعراسَ !، يَدْفعها التّشَوُّقُ للطُّبولْ
من دَفْتَرِي وُلِدتْ

كَقَصِيدَةٍ
وَمنْ ... خَبَبِ الخيولْ
وتظَلُّ فِي تِحْنَانِهَا ولهيبها مَغْلولة النَّهْدَين
والشّعر مُنْسَدِلٌ عَلَى الكَتِفَين
فِي كفّها اليُمْنَى السَّنَابِل والحَمَامْ
وباليسرى تلوّح للغريبْ
والرّيح تَعْصرُ خِصْرَهَا
والهائمونَ بِظِلّهَا يَتَوَافَدُونْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوّاهُ ما أقْسَى دَمَ العشّاقِ
رُحَمَاءُ فِي فَجْرِ اللّقَاءِ الأوّلِ
أعْدَاء عند أفُولِ القبلة الأوَلى
أوّاهُ مَا أقْسَى دَمَ العشّاقِ
أوّاه ما أقْسَى رُخَامَ الصَّمْتِ / ما أقْسَى الكلامْ

مازلتُ عَلَى طَبْعِي زُجَاجِيَّ المِزَاحْ
هكذا قلتُ لِتَكْشفَني المرايَا
مازلتُ أشتاق «أبا نوّاس»
أقْفُو مآثِرَ «الأعْشَى»
وأفِرّ من صخَبِ القبائِلِ / أحْتَمِي بالبُحْتُرِي
مازلتُ أشتاقَ المرايا
مازلت أشتاق زغاريدَ الصَّبَايَا

أوّاهُ يا قَلْبِي المطَرّز بالكلامِ المُرِّ
مازلت على طبعي زجاجيَّ الكَلامْ

آذَارُ لَمْ يُقْبِلْ وقَلْبِي قُبّلَةٌ تَنْسَابُ غُصْبًا
فِي الغَمَامْ
دَفْتَرِي يَهْذِي
قَلَمِي تُعَتّقُهُ التِي من شدوها أمَلِي
ومن ألَمِي شذاها
والقصائد شرّدتْنِي
ومباهج الأحلام ما عادت تُرَاوِدنِي

[هذا مقطع من قصيدة طويلة ـ وإلى اللقاء في المقاطع القادمة]

شباط / فيفري 1989

التّجربة الوجوديّة وأبعادها : من خلال «حدّث أبو هريرة قال» لـ : «محمود المسعدي»(*)

بقلم : عمّار العوني

□ مدخل أوّلي :

إنه من المعروف أن تيار الفلسفة الوجودية قد برز في الفكر الغربي الأوربي في أواخر القرن التاسع عشر وتبلور بصفة رئيسية منذ بداية القرن العشرين كردّة فعل عنيفة لما ساد العالم وقتها من ضياع فلسفي وتَرَدّ على مستوى الأوضاع السياسية والاقتصادية وتمزق في العلاقات بين الأمم والشعوب واشتعال فتيل الحروب مما أدى الى حربين عالميتين كبدّتا البشرية أضخم الخسائر البشرية والمادية والمعنوية وخلفتا أثقل الهزائم المعنوية. وقد كان ترعرع الفلسفة الوجودية ونشوؤها في فرنسا وألمانيا على وجه الخصوص نظرا لانهما الدولتان اللتان تأثرتا أكثر من غيرهما بانعكاسات الأزمة السياسية والاجتماعية والحربية الحادة التي عصفت بالوجود البشري وقتها وباتت تهدد الانسانية بالإمحاق والإفناء والفناء، فكان لذلك أن سيطر شعور القلق والعبث والحيرة على الذهن الانساني تجاه الغد والمصير والمستقبل وبالتالي انعكس ذلك الشعور في الاثار الفلسفية والروايات الادبية والشعرية

(*) هذه الدراسة جزء من كتاب لم ينشر بعد بعنوان : «الفلسفة الوجودية وخصائصها من خلال أدب المسعدي».

خصوصا مؤلفات : «جان بول سارتر» و «ألبار كامو» الفرنسيين في الأدب ومحاضرات «مارتن هايدغِر» و «كارل ياسبرز» الألمانيين في الفلسفة والفكر.

وبذلك تبلور تيار الفلسفة الوجودية في اطار أزمة شاملة كانت تهدد الانسان في حياته ووجوده واستمراره مما أدى الى انصباب الفكر الوجودي انذاك على كبرى القضايا الوجودية : من أنا ؟ ما الغاية من وجودي وحياتي ؟ ما هو مصيري ؟ ما منزلة الانسان في الكون ؟ ما هي حدود المعرفة الانسانية في اطار الطبيعة الغامضة المعقدة ؟.

ونظرا لسيطرة معالم الحيرة على مقومات الفكر الوجودي ذاك فقد انقسم الوجوديون الى مدارس مختلفة : مدرسة أولى تؤمن بالله والدين وتقرّ بضعف الانسان وارتباط وجوده بالقلق والحيرة وأن خلاصه يكمن في معرفة الله والاتصال به وأبرز روادها «كارل ياسبرز» و «جابريال مارسيل»، ومدرسة ثانية ملحدة تنفي فكرة الله وترجعها الى جهل الانسان وضعفه وسيطرة الأساطير والخرافات على تفكيره، وتقر في ذات الوقت بأن الانسان الفرد القوي المريد هو «الله» وأن ليس هناك إله يفعل في الطبيعة والكون غير «الانسان».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سيطرت المدرسة الوجودية الملحدة على الفلسفة الغربية طيلة هذا القرن نتيجة لانتشار العلوم الطبيعية والفيزيائية واعتداد الانسان بذاته وكشوفاته واختراعاته التكنولوجية والكسمولوجية الباهرة، فكان «جان بول سارتر» أب الفلسفة الحديثة، اضافة الى «مارتنْ هيدغار» و «ألبار كامو» من أبرز فلاسفة الفكر الانساني في هذا القرن لأنهم تعرضوا الى أبرز مظاهر قلقه وحيرته ـ أي الانسان ـ الوجودية التي تثير تمزق ذاته وبحثه عن منزلته الوجودية في هذا الكون الغامض.

وفي هذا الاطار الفلسفي الغربي نشأ مفكرون عرب مسلمون تلقوا ثقافة غربية في الفكر والسلوك باعتبار أنهم قد درسوا بالجامعات الأوربية ونهلوا من روافد الفلسفات الوجودية والسيريالية والعبثية، ومن أبرز هؤلاء المفكرين

العرب الذين تأثروا بمنابع الفكر الأوربي الحديث «طه حسين» و «توفيق الحكيم» والأديب التونسي المعاصر «محمود المسعدي».

ولعل مؤلفات «محمود المسعدي» الأدبية كانت أقرب من غيرها إلى إيضاح خصائص الفكر الوجودي نظرا لاطلاعه على فترة تبلور الفلسفة الوجودية ومعايشته لرائديها «سارتر» و «ألبار كامو» في فرنسا أثناء دراسته العليا بها في الاربعينات. على أن أغلب النقاد قد اتفقوا على أن رواية «**حدّث أبو هريرة قال**»[1] **لمحمود المسعدي** هي أبرز الاثار التي يمكن أن نستقي من خلالها خصائص التجربة الوجودية عند محمود المسعدي، خصوصا **الحفناوي الماجري** في كتابه «**المسعدي في حدّث أبو هريرة قال : من الثورة الى الهزيمة ...**»[2].

لكن قبل أن نتقصّى أبعاد التجربة الوجودية في «حدّث أبو هريرة قال» نرى أنه من الضروري تحليل نظرة المسعدي الفلسفية للانسان ومفهومه الخاص للأدب ووظيفته الحقيقية المثلى التي يضطلع بها ويؤديها. فما هو دور الأدب ومفهومه ووظيفته عند المسعدي ؟ ثم ما هي منزلة الانسان الحقة في أدب محمود المسعدي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ا / □ 1 % وظيفة الأدب ودوره عند المسعدي :

لقد حصّل محمود المسعدي ثقافة معرفية حديثة مثل غيره من المفكرين والأدباء العرب المعاصرين، ذلك أنه اذا كان قد درس في أوروبا وتأثر بتياراتها الفلسفية الوجودية لاسيما النيتشاوية والسارترية التي تنادي بألوهية الانسان القوي المريد الذي لا تنافسه في الكون أية قوة أخرى غيبية، فإنه كان أيضا ذا ثقافة اسلامية عربية متمثلة في حفظه القرآن ونصوص الحديث،

---

(1) محمود المسعدي : «**حدث أبو هريرة قال**» ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس 1979 ـ الطبعة الثانية 1984 ـ سلسلة «عيون المعاصرة».

(2) الحفناوي الماجري ـ «**المسعدي في حدث أبو هريرة قال : من الثورة الى الهزيمة**» الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس 1985 (الطبعة الثانية).

إضافة الى دراسته للبلاغة العربية والنحو العربي وحفظه لاشعار أبي العتاهية وأبي العلاء المعري وإطّلاعه على أدب أبي حيان التوحيدي وكتب الغزالي الفلسفية التي تتناول مشكلة المعرفة وحدودها ووسائلها وطرقها وعلاقة الانسان بالله.

ومن الواضح أن ثقافة المسعدي الاسلامية التقليدية قد تمازجت مع تكوينه ومعرفته الفلسفية المعاصرة ذات المنحى الوجودي الذي يتعرض الى مأساة الانسان الوجودية وقلقه الكوني الفاحش، الأمر الذي جعل تفكيره ينزع نزعة انسانية توفيقية تؤمن بالاصالة والتفتح وتعتقد بتأصيل الكيان مع ضرورة انفتاحه على تجارب الانسانية الأخرى مهما كانت فلسفاتها أو مرتكزاتها الفكرية. ولهذا فقد أثّرت ثقافة المسعدي المزدوجة عربيا وإسلاميا وغربيا ووجوديا في نظرته الفكرية للانسان والحياة والموت اضافة إلى تعريفه للأدب ووظيفته وخصائصه العامة الانسانية الثابتة التي تعرض الى قضية البشرية الخالدة ومأساة الانسان المتواصلة عبر الصيرورة التاريخية للكون والوجود.

لئن حصر المسعدي تعاريف الأدب المختلفة في تعريفين كبيرين **يشملان كل التعريفات الممكنة** التي أضافها الأدباء منذ ظهور المدارس الأدبية الحقة مع ابن المقفّع والجاحظ والتوحيدي وحتى عصرنا هذا في تعريف أول هو : «**أدب اللفظيين الذي فيه يتراكب الكلام ويتداعم، وفيه بعض المتكلم باللفظة تختنق في الحلق، والحرف يتعطل به اللسان، وفيه يشتبه العجز بالاعجاز، ويشتبه العجز بالابداع وفي خضمه ينوب الفراغ عن المعنى والنية عن القدرة و (أنا) المكنون عن الكيان الفعال، ليظن أن الغموض عمق والابهام خصب والظلام بيان ...**»[3] وتعريف ثان مناقض للأول هو : «**الأدب الذي لا ينعت ولا يضاف وأحد مفرد وخلاء وحشة لأنه الأقصى ولأنه المحنة ... بلوى ذاتيه لا يعرفها إلا الذين عرضوا أنفسهم لكل بليّة باطنة، وكل معضلة دخيلة، ودوّت التجربة في أفئدتهم بجميع أصداء الكون والصيرورة والفساد، فهم ينشئون الانسان والكيان إنشاءا ...**»[4] فإنه كان يمهّد من خلال ذلك

---

(3) - (4) جريدة الصباح ـ 2 **فيفري 1951**. كتاب «تأصيلا لكيّان» ـ تونس ـ ص 37.

لبسط نظرته الخاصة للأدب ومعناه ووظيفته وعلاقته بالوجود الانساني مأتى ومصيرا.

ولئن كان التعريف الأول الذي استقرأه المسعدي من تاريخ الأدب العربي والعالمي يحصر الأدب في الناحية الشكلية الخارجية اللفظية دون اعتبار لمضامينه ومحتوياته ومعانيه الفكرية فإن التعريف الثاني، الذي أورده والذي في أصله مناقضا للأول ـ يحصر غاية الأدب في الناحية المضمونية الجوهرية التي لا تعير أي قيمة للأسلوب والأشكال اللغوية المستعملة. ولذلك يترتب على اختلاف هذين التعريفين لوظيفة الأدب ومفهومه اختلافا في غاية الأدب وهدفه ذلك أن الرؤية الشكلية الاسلوبية تهدف الى ايضاح وتبيان مقدرة الأديب البيانية واللغوية في حين تهدف الرؤية المضمونية الجوهرية الى تبيان وايضاح مقدرة الأديب في سبيل انشاء غيره وخلقه.

غير أن محمود المسعدي ولئن حدّد تعاريف الأدب الممكنة في ذنيك الرافدين الكبيرين : الرافد الشكلاني البياني، والرافد الجوهري المضموني فإنه لم يطمئن من جهته الى أحدهما وبالتالي فإنه قد ذهب الى حد تأسيس نظرة جديدة خاصة به للأدب ووظفته ومفهومه. لقد عرّف المسعدي الأدب بقوله : «**الأدب هو العبارة الجامعة أو ينبغي أن يكون العبارة المعبّرة عن جماع الانسان بفكره وعقله وعاطفته واحساسه وخيالاته وتصوراته أي عن كيانه وعن رؤيته بصفة عامة، رؤيته الفكرية والجمالية والحسية**»[5]. ومن ثم فالأدب عنده شامل لأبعاد الانسان المختلفة التي حصرها في ثلاثة فقط وهي : **فكرية وجمالية وعاطفية.**

وعليه يعتقد المسعدي أن الأدب ظاهرة موجودة بالفعل والتعيّن في كل مجتمع وتاريخ انسانيين فـ «**لا إنسان بلا أدب ولا إنسانية بلا أدب**»[6]

---

(5) «المسعدي يتحدث عن أدبه» ـ مجلّة الحياة الثقافية ـ وزارة الشؤون الثقافية ـ عدد 7 ـ تونس 1976.

(6) المصدر السابق.

لذلك فلا يمكن الحديث عن حضارة بشرية ما بلا أدب فلكل حضارة إنسانية أدبها الخاص وفنها الخاص المترجم لخصائص حياتها ونبضها.

إلا أن هذا التعريف الجامع الشامل للأدب الذي يقدّمه المسعدي لن يكون حقيقيا وذا قيمة انسانية الا اذا ترجم لنا «**مأساة الانسان الوجودية**» فالمسعدي يعتبر : «**أن الأدب مأساة أو لا يكون**»[7] ومن ثم فالأدب ذا وظيفة وجودية صرفة، فالوجود هو المأساة ـ الصراع المستمر بين الانسان وقوى الوجود ـ واذا كان الأدب رصدا لوجود الانسان فإنه من الطبيعي أن يترجم تلك المأساة الوجودية التي يحياها ويعيشها حقيقة.

لقد اعتبر المسعدي أن وجود الانسان برمته مدار للمأساة فالمأساة تتجسد في الوجود بأكمله : «**الوجوديّة هي المأساة والمأساة هي الوجوديّة**»[8]. لذلك كانت النزعة المأسوية عماد التجربة الانسانية عامة والأدبية خاصة والتي لا بدّ أن تنبثق عن : «مأساة **الانسان يتردد بين الألوهية والحيوانية وتزفّ به في أودية الوجود عواصف آلام العجز والشعور بالعجز** أمام القضاء، **أمام الموت**، أمام الحياة، **أمام الغيب، أمام الآلهة، أمام نفسه** ...»[9].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن الانسان تعترضه في وجوده قوى عديدة منها ما تستوطن ذاته «تلازمها وتحركها، ومنها ما تتعقبه فتنال منه وتصيبه وتلك هي قوى : «**الموت والغيب والآلهة**»[10]، ولذلك **يجابه الانسان كل هذه القوى بمفرده، ويدوم ذلك بدوامه، فيعيش مأساة واحدة عبر كل العصور ويكون دور الأديب التعبير عن هذه المأساة**»[11].

---

(7) أبو العتاهية كما يراه صاحب الأغاني ـ المباحث مارس 1945 ـ «تأصيلا لكيّان» ـ ص 21.
(8) مجلة «**الأقلام العراقية**» ـ العدد 2 ـ 1979 ـ ص 140.
(9) المباحث مارس 1945 ـ تأصيلا لكيّان، ص 21.
(10) المصدر السابق.
(11) **الحفناوي الماجري ـ «المسعدي في حدّث أبو هريرة قال» : «من الثورة الى الهزيمة» ـ طبع الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس 1985** ـ (الطبعة الثانية)، ص 26.

ولقد أكد المسعدي هذه النظرة الفلسفية التي ترى أن وجود الانسان مجال لمأساة متواصلة عبر الاجيال المتعاقبة ومتواصلة بتواصل استمراره وصراعه مع قوى الغيب والوجود ومعوقاته المتنوعة بل إنها لا تنتهي الا بفنائه وموته، في مقدمه «حدّث أبو هريرة قال» : «**إنما هي آلام الانسان يترامى صداها من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل كما يتردّد صدى الرّعد بين الجبال**»[12]. على أن هذه المأساة التي يقصدها محمود المسعدي ليست في حد ذاتها ذلك الصراع المعهود في الأساطير القديمة والذي ينتهي في لحظة ما بانتصار طرف قوي على الطرف الآخر وبالتالي تبلور صفة الطمأنينة والسكون والاستقرار على الوجود وإنما المأساة عند المسعدي هي صفة جوهرية ملازمة للانسان أينما وجد فهي مرتبطة بحركته وتجربته الوجودية الحية المستحيلة المتقلبة وهي لا تزول وتنتهي إلا بموت الانسان وفنائه. ومن ثمة كان لزاما على المسعدي أن يسحب نظرته الى المأساة على كل أبعاد الحركة البشرية والانسانية في الوجود فإذا كان يقرأن «**الحياة كون واستحالة ومأساة فإذا هي ارتدت ظاهرة وقرارا ورضى، فهي الخسران ولعنة على الزائفين**»[13] فإنه يعتبر أن الانسان العادي الهادئ المطمئن الذي يعيش حياة البهائم «**كالأنعام كالحجر**» بعبارة ميخائيل نعيمة في رواية اليوم الأخير، هو في الحقيقة في غيبوبة تامة عن الوعي بوجوده وأن أي انسان لا يدرك !! إنسانيته الحقّ إلا إذا وعى ما يترتب عن وجوده من مسائل»[14].

إن المأساة في فكر المسعدي صفة جوهرية ملازمة لحركة الانسان في الحياة وَمُضَمَّنَةٌ في تجربته الوجودية المختلفة الأطوار والمراحل وبالتالي من أوكد واجبات الانسان المأساوي أن يتمرد ويثور على القيود والنواميس

---

(12) محمود المسعدي : «حدّث أبو هريرة قال» ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس 1979، المقدمة، ص 13 ـ 14.

(13) **محمود المسعدي «حدّث أبو هريرة قال» ـ مقدمة الكاتب ـ ص 12**، طبعة دار الجنوب للنشر ـ تونس 1979.

(14) **الحفناوي الماجري** : المسعدي من الثورة الى الهزيمة في «حدّث أبو هريرة قال»، الشركة التونسية للتوزيع، الطبعة الثانية ـ تونس 1985 ـ ص 26.

المختلفة التي تعيق مسيرته الذاتية بحثا عن بناء الكيان وامتلاء الذات والوعي بحقيقة الوجود. لذلك أقر صاحب أبي هريرة أن بناء الكيان مسألة عسيرة وشائكة مرتبطة بمدى وعن الانسان بأن المأساة مضمون الوجود وأن الوجود مسألة شائكة تقتضي منه الجهاد والصمود في صراع بقية أطراف القوى الوجودية الأخرى حتى إدراك الحقيقة وبلوغها : «**إن كل كيان لجهد وكسب منحوت ...**»[15].

ومن هنا نتبين أن المأساة في فلسفة المسعدي الوجودية لا تتعلق بإنسان معين وإنما هي مرتبطة بالانسان في المطلق خصوصا ذلك الانسان المأساوي الذي يثور من جموده ويستشعر بأن الوجود مسألة لا بدّ من خوض التجربة خلالها والجهاد القويّ للذات من أجل نيل المعرفة وبلوغ الحقيقة، لذلك كانت وظيفة الأدب الحقيقية عند المسعدي هي تصوير المأساة الانسانية في مختلف مظاهرها وأطوارها وتجلياتها واذا لم يلتزم الأدب بهذا الاتجاه الانساني المعبر عن الوضع الانساني المأساوي فانه يبقى حسب المسعدي أدبا زائفا لا يعكس الحقيقة الوجودية المتعلقة بالمأساة. فوظيفة الأدب عند محمود المسعدي هي الالتزام بالتعبير عن الوضع الانساني في مختلف مظاهره وأبعاده المأساوية وبالتالي فـ «**الالتزام عندي خاصيّة جوهرية لا تفارق الأدب الا انتفت عنه صفة الأدب وهي خاصيّة تؤول الى ملاحقة الأدب وملابسته للمشاكل الانسانية الدائمة الابدية التي لا تزول إلا بزوال الانسان والوجود**»[16].

ومن هذا الاساس الذي أكد فيه المسعدي النزعة الانسانية المأساوية للأدب الحق كانت نظرته الجديدة للأدب نظرة إنسانية شاملة فهو يرى في الأدب العربي أدبا إنسانيا يرقى الى مستوى دراسة المأساة التي يتخبط فيها الانسان منذ وجد على وجه الأرض فأبو العتاهيّة كان في شعره حائرا قلقا رغم زهده، وكذلك أبو العلاء المعري الذي ترجم المأساة الوجودية التي تخبط

---

(15) **محمود المسعدي مُقدّمة «حدّث أبو هريرة قال» ، ص 12.**

(16) **مجلة الندوة ـ تونس ـ فيفري 1956 ـ تأصيلا لكيان ـ ص 43.**

فيها الانسان منذ الأزل في ما بين تناقضات الحياة وثنائيات الكون والعدم والموت كان أديبا إنسانيا في أشعاره ولزومياته خاصة.

إلا أن هذه النزعة الانسانية الواضحة التي يُنَزِّلها المسعدي في مجال الوظيفية الرئيسية التي من الضروري أن يضطلع بها الأدب انطلاقا من صفة المأساة الملازمة لحركة الكائن البشري، تفترض أن يكون الأدب المكتوب للانسانية جميعا في ثوب رمزي نظرا لأن اللغة الرمزية الأدبية هي اللغة الوحيدة التي يؤول خلالها القارئ النص الأدبي تأويلا صائبا مطابقا لما يراه ويركن إليه.

وهكذا نستنتج الأبعاد النظرية لمفهوم الأدب ووظيفته ونزعته الانسانية عند المسعدي والتي لا بدّ أن تكون نابعة عن حرارة مأساة التجربة الوجودية المعيشة والتي حاول أن يؤسس لها نظريا في مقالاته وكتاب «تأصيلا لكيّان»[17] وتطبيقا في آثاره «السّد»[18] و «مولد النسيان»[19] و «حدّث أبو هريرة قال»[20] و «من أيام عمران» و «السّندباد والطهارة»[21].

وانطلاقا مما سبق يمكننا أن نتساءل بجرأة واضحة : الى أي حدّ تبلورت فلسفة محمود المسعدي الوجودية في رواية «حدّث أبو هريرة قال» ؟ ثم إلى أي مدى استجابت تجربة أبي هريرة الوحودية الى نظرة المسعدي الفكرية للانسان والوجود وللأدب ووظيفته شكلا ومضمونا ؟.

II / □ 2/ المسعدي في رواية «حدّث أبو هريرة قال» :

إن من أبرز الاسئلة التي تراود القارئ حينما يقرأ أو يدرس كتابا ما هو : ما علاقة ذلك المؤلف (الكتاب) بمؤلفه ؟ ثم ما هي غاية الكاتب من خلال وضعه لذلك المؤلف ؟.

---

(17) كتاب نظري، يطرح فيه المسعدي نظرته الفكرية للانسان والأدب والوجود.
(18) **مسرحية فلسفية كتبها المسعدي، يطرح فيها نظرته لارادة الانسان ومنزلته في الوجود والكون.**
(19) رواية وقصة فلسفية يثير فيها المسعدي قضية الموت والخلود.
(20) «حدّث أبو هريرة قال» : من أبرز كتابات الاستاذ المسعدي المشهورة.
(21) مؤلفان آخران للمسعدي يندرجان في إطار تبيان فلسفته الوجودية الانسانية.

وقد يكون من الطبيعي أن تحتد هذه الاسئلة وتتداخل لما يقف القارئ أو الناقد على مؤلف فلسفي مثقل بالنزعة الرمزية الفكرية التي تصل حد الابهام والغموض شأن من يحاول الوقوف على مؤلفات الأديب محمود المسعدي الذي يعترف من تلقاء نفسه بأن أدبه ينتمي الى الأدب الرمزي المثقل بالايحاءات الفلسفية والذي يعود الدور في تحليله وقراءته وفهمه الى القارئ انطلاقا من التأويل الذاتي من خلال الابنية اللغوية والشكلية الثرية للنص.

إن من يستقرئ مقدمة «حدّث أبو هريرة قال» يلاحظ أن المسعدي يشير إلى الدوافع الأولى التي حملته على كتابة أحاديث مسيرة بطله أبي هريرة والتي تتلخص في أزمة الضياع الفكري التي كان يمرّ بها في فترة دراسته العليا بفرنسا والتي جعلته يتيه : أيظل وفيًا لروح جذوره وثقافته الاسلامية الشرقية في ظلال ذلك التطور الفلسفي والعلمي الباهر الذي كانت تعيشه أوربا أنذاك ؟ أم أن الحقيقة تكمن في ملامح الحضارة المادية الأوربية التي يؤله فكرها الانسان ويجعله إله الكون وتبيح له مطلق الحرية في العلاقات الاقتصادية والجنسية والتمرّد على الدّين والثورة على النواميس الاخلاقية والدينية ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه الاسئلة المفجعة الدقيقة قد فرضت على المسعدي أن يحيا حيرة فكرية مرهقة وتمزق وجداني وفلسفي مؤلم أفضى به الى ضياع فكري مقيت طويل اضطره الى إبداع مسيرة أبي هريرة المضنية بحثا عن الحقيقة الوجودية المثلى التي تستقر عندها الكيان وتتلاءم مع أجزائه. لهذا فإنه قد تخص تلك الفكرة السابقة في قوله : «**هذا كتاب كتبته منذ أحقاب حين كنت أروم أن أفتح لي مسلكا الى كياني الانساني وأقضي حجًا الى موطني المفقود، وفاء حنين الى الذات الجوهر الفرد وتوليد للعشرة من معدن الوحشة وإشهاد على أن تاج الكيان مركّب من العشق والفناء**»[22].

---

(22) مقدّمة «حدّث أبو هريرة قال» ـ طبعة دار الجنوب للنشر ـ ص 11.

وفي هذا الاطار الحضاري المترع بالمتناقضات : غرب متوثب نحو الابداعات الفكرية والأدبية المتنوعة والكشوفات العلمية والتكنولوجية العظيمة، وشرق متخلف جامد يعيش على أحلام القرون الهجرية الأولى التي كان السيف فيها هو الحكم بين المتخاصمين ويتلذذ سنوات ذلك الانحطاط المريع في الفكر والواقع والسياسة، تلقى محمود المسعدي الشاب صدمة قوية جعلته يسعى فيما بين تلك المتناقضات : «**إلى أن يجد لنفسه حقيقة تصمد أمام كل ما اتخذ من التغير المستمر شكلا له. تصمد أمام الغرائز وجشعها وأمام الفردية وضيقها وأمام المادة وزيغها، وفي كلمة تصمد أمام ما يسمّيه المسعدي «بالعرض» وتتخذ من «الجوهر» قرارا لها. وتكون نتيجة كل ذلك «طمأنينة النفس الراضيّة في عالم أسمى فأسمى»**[23].

على أنه رغم هذه الحيرة الذاتية التي عاشها المسعدي في الاربعينات والتي كانت رواية «حدّث أبو هريرة قال» نتاجا لها، فإن شعور الضياع الفكري والحضاري لم يكن خاصا بالمسعدي وانما هو شعور استبد بأجيال فترة ما بين الحربين العالميتين وما تبعهما من احتداد لمأساة الضياع والخوف من المستقبل وفناء البشرية، بل لعله شعور بشري أصيل متمكن من الانسان من وجد وهو الشعور بالانجذاب الى الأرض والمادة طورا والسعي إلى تجاوز ذلك الشعور والارتفاع الى مراتب الروح وعالم الملائكة عبر عبادة الله والذوبان في ذاته المطلقة كما يفعل المتصوفة.

إذن تندرج رواية «حدّث أبو هريرة قال» في رغبة المسعدي الانسانية في تأسيس كيانه ومعرفة منزلته في الوجود وبلوغ الحقيقة، ومن خلال ذلك دعوته للانسان لتأمل وجوده وعيش الحيرة كي يدرك معنى الوجود والمنزلة الحقيقية للانسان في الكون.

وهكذا يضع المسعدي القارئ لأحاديث أبي هريرة القصصية أمام أسئلة دقيقة محرجة تمسّ خصائص الكائن البشري وتثير أعماقه الأصيلة جاعلا

---

(23) **المسعدي في «حدّث أبو هريرة قال» : من الثورة الى الهزيمة ...»** الحفناويس الماجري ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ ص 34.

منه بذلك طرفا أساسيا في تحليل تجربة أبي هريرة وانشاءها من بواطن الحيرة والرموز والغموض : «**هو دعوة الى إحياء نارك فإن لم يحيها من رماد فقد مات وبطل همّك منه وإن كان لا بدّ له من جدّة وطرافة لتقبل عليه فاعلم أنه ليس في نظري أطرف من جدّة القديم : كنفسك وأساك وحيرتك ...**»[24]. ومن ثم يكون القارئ ناقدا مبدعا يعيد صيّاغة النصّ الأدبي وإنشاءه مرة أخرى كما تشير عليه نفسه ويحدّثه بذلك تأوليه الخاص ما دام ليس من غاية له سوى إستجلاء حقيقة كيّانه ومعرفة الغاية الحقيقية التي تقف وراء وجوده والتي لخصها أبو العتاهيّة في بيت من إحدى قصائده :

وأيّ امرئ في غاية ليس نفسه
إلى غاية أخرى سواها تطلّع

ومن هنا يضع المسعدي القارئ أمام مسؤولية خطيرة تتمثل في صدق محاورته لنفسه بعد الانتهاء من تتبع أبعاد مسيرة أبي هريرة المضنيّة ليعتنق بعد ذلك موقفا خاصا له في الوجود الشائك، هذا الموقف الذي لا بدّ أن يُلتزم به ويُتّبع لأنه ناتج عن صدق الذات في الاختبار وممارسة الحرية والمسؤولية الذاتية في الوجود : «**إنما لك من شأنه ما قد يقع بنفسك عند انتهائك من هذا الكتاب**»[25].

III / □ 3 / التجربة الوجودية وأبعادها من خلال «حدّث أبو هريرة قال» :

إن المتأمل في رواية «حدّث أبو هريرة قال» لمحمود المسعدي يلاحظ أن كاتبها قد وظّف شكل «الحديث» كطريقة فنية وأسلوبية لابلاغ نصّه الأدبي في طابع قصصي رمزي وثري، فأسلوب الحديث هذا بارز في العنوان «**حدث** ...» وقد استلهمه المسعدي من التراث العربي الاسلامي

---

(24) مقدّمة «حدّث أبو هريرة قال» ـ ص 15 (طبعة دار الجنوب للنشر).
(25) المصدر السابق.

وحاول أن يلبسه أبعاد فلسفية وفكرية سحيقة انطلاقا من مسيرة أبي هريرة الوجودية.

وفي إطار أسلوب التحديث هذا الذي اختاره المسعدي كفضاء شكلي لمسيرة بطله الوجودي تنطلق تجربة أبي هريرة المضنية بالبعث الأول حيث يدعوه صديقه إلى رحلة خارج الحي يصرفه خلالها عن الدنيا يوما من أيامه وبعد تردّد يوافقه على الرحيل والانبعاث. وبهذا يتمثل أبو هريرة قولة لألبار كامو : «**ان الانسان هو الكائن الوحيد الذي يرفض وجوده ويتمرّد عليه**»[26] Albert Camus. ذلك أنه قد عزم على ترك عادته اليومية المتمثلة في التوضأ وتأدية صلاة الفجر مبكرا لينصرف في مقابل ذلك الى الالتحاق بصديقه حيث دعوة الحياة والابنعاث والوجود.

ومن الطبيعي ان يكون هذا الوعي والانبعاث الوجودي لدى أبي هريرة غير متأت من فراغ وانما له بواعثه وبذوره الضاربة في ملامح الماضي الذي كان يحياه أبو هريرة، فكل مميزات حياته العادية الماضية وما حفّ بها من أحداث متنوعة بلورت في ذات أبي هريرة الشوق الى الرحيل والتمرد على النواميس والعادات الاجتماعية التي تشده الى الثبات والمألوف والخضوع للواقع بحثا عن الطمأنينة والمعرفة واكتشاف منزلة الأنا في مملكة المجتمع الضيقة ومملكة الكون الواسعة.

لقد كان أبو هريرة ـ شأنه شأن أترابه ـ يميل إلى حياة ملؤها اللعب والعبث في سن الصبى، إذ أنه كان يلاعب أترابه في الحي فيمثلون أدوار الملوك والطيور والسباع وكثيرا ما كان يعنفهم فيشكونه الى أمهاتهم.

وكان أبو هريرة شديد الميل الى العزلة والتأمل والتفكير برغم مشاركته صبية الحي ألعابهم خصوصا لما تعرضت أخته الصغيرة التي كان يحبّها ويعطف عليها رغم العاهة التي أصابتها ورغم قول أمه إنها «**من سقط أو من عبث الأقدار**»[27]، الى مرض مزمن نهش جسدها وذهب بروحها بعد ثلاث سنوات.

---

(26) **ألبار كامو : Albert Camus : من أبرز رواد ومنظّري الفلسفة الوجودية الحديثة : من** أساتذة الجامعة الفرنسية المشهورين في الستينات.

(27) «حدّث أبو هريرة قال» ـ ص 83.

وقد تبلورت حيرة أبي هريرة الفكرية المميزة لشخصيته انطلاقا من حادثة موت أخته الصغيرة التي أثرت في نفسيته تأثيرا بارزا وجعلته يعيش الحيرة والقلق ويتساءل : أهذا هو من عبث الوجود والكون ؟ أم إنه فعل «**الله**» الذي حدّثه عنه الكبار ؟ ثم ماذا ذنب أخته الصغيرة البكماء الصمّاء حتى تموت وتفقد حياتها ؟.

لقد كانت هذه الحادثة باعثا قويا لأبي هريرة للحيرة والتساؤل عن جدوى الحياة والوجود ما دام الموت نهاية محتومة لهذا الوجود. وتدعّمت بذلك الأسئلة المتضادّة في ذهنه حتى شارف الشعور بالضياع والعبث كما قال ألبار كامو : Albert Camus : «**كلّما نظرت الى الأشياء الا وشعرت بالعبث**»[28].

وهكذا تتداخل الدوافع الذاتية ـ ميل أبي هريرة للعزلة والتأمل ـ والدوافع الموضوعية الخارجية ـ إصابة المرض لأخته وموتها وإحتداد حيرته حول مشكلة الوجود وتعرّض الانسان الضعيف للموت والعدم والفناء ـ لتفجر بواعث الرحيل والانبعاث الفكري في ذات أبي هريرة.

وقد بدأت تجربة أبي هريرة الوجودية بتحوله من إطار مكاني زماني ديني هو مكّة بأحيائها وطابعها الديني الثبوتي المألوف الى إطار زمكاني آخر هو الطبيعة الشاسعة والصحراء القفراء بكل رمالها وكثبانها وإمتدادها. وقد ارتبط تحول أبي هريرة هذا بثورته على المفاهيم العامة والاجتماعية المتداولة فقد «**كان الرمل في العقلية المتعارفة رمز الجدب والعقم وسيصير عند أبي هريرة إطار الحياة، وهي ليست حياة النبات بل حياة الوجود الانساني، ذلك أنه سيكون إطار تقع فيه قصّة البعث**»[29]. وفيما بين الكثبان والرمال جلس أبو هريرة على الرمل متأمّلا ساهما شأنه شأن «بوذا» الذي جلس تحت الشجرة ينتظر الالهام والوحي والحكمة قبل أن يخرج

---

(28) قولة لألبار كامو : Albert Camus (توفي سنة 1961، **منتحرا**).

(29) **الحفناوي الماجري : «المسعدي : من الثورة الى الهزيمة في حدّث أبو هريرة قال»**، الشركة التونسية للتوزيع ـ ص 51.

على الناس في عبائته الصفراء : «**فجعلت أضرب برجلي وأقلب يدي فيه فأجد منه كمس لطيف النهود، وكانت قد نامت فيه برودة الليل فهو كاليقين بعد الحيرة ...**»[30].

ولعل الاطار الزماني المتمثل في صورة «الفجر» قد أكسب زمن الانبعاث والرحيل بعدا إيحائيا ورمزيا مثقلا بالاشارة والاماء لا سيما وأن مجال الوجود المطلق كان يتّقد نارا ورملا وشهوة جسديةَ عارية إذ تبين لأبي هريرة وصاحبه : «**فتاة وفتى في زي آدم وحواء ممدودان جنبا الى جنب متجهان الى مطلع الشمس، وكانت على وشك البزوغ فالمشرق كلهيب النار ...**»[31].

فالوجود البكر الطاهر كان ترابا ناصعا وكذلك كانت رقصة الفتاة دعوة جسدية للاحتفال بلذة الحسّ الجسدية والذوبان في رحاب الطبيعة الملساء «**فإذا الفتاة ارتمت وقامت كأنها الظبية أحست بالنبل ... ثم تتراجع وترسل يديها الى السماء والشمس كأنها تروم أن تدركهما، ثم تتراجع بهما في هيئة من الرقص كأنها الغصن يهزه النسيم ... ثم عادت في الرقص مثل حركاته الأولى. فرأيتها لسانا من الرمل قائمة على رأس الكثيب وكأنها ولدت منه أو ذابت فيه .. فهي رقيق الرمل يجري بين الأصابع .. وأرسلت الى ذلك صوتها بالغناء فكان يترقرق في حلقها ويرق لرنين يديها وثدييها وكامل جسدها، ثم يتراجع بتراجعه حتى إخاله سكن. ثم تعود فترقص وتغنّي :**

سلام علـــى الـــرّوح يسرى علـــــى يسر
سلام علـــى النّـــور سلام على الفَجْرِ»[32]

وهكذا يكتشف أبو هريرة لأول مرة الطبيعة البكر التي لم تدنّس ويتفاعل مع طلاوة الرمل الناصع ويشده جسد الفتاة المتناسق الجمال والحركات

---

(30) «حدّث أبو هريرة قال» ـ ص 51.
(31) المصدر السابق.
(32) محمود المسعدي «حدّث أبو هريرة قال» ـ ص 52.

فيشعر بالذوبان والنشوة والانصهار في طهارة الوجود البكر وبوتقته : **«وصرفني عن صديقي وهزني الطرب حتى كدت آخذ في الرقص من حيث لا أشعر .. وإذا الفتى قد وثب الى الجارية ورفعها من خصرها فبدت على يديه ممتدّة في الهواء ويداها مقرونتان في هيئة المقبل على البحر أن يغوص فيه ...»**[33] ومن ثم فإنه قد : **«بدأ ينسى حياته الماضية ورتابتها في مكة ويقبل على هذه الدنيا الأخرى وفي حين كان سلوكه السابق القائم على الصلاة والصوم وسائر الشعائر يأمل في البعث يوم القيامة، أصبح بهذه المتعة مقبلا على بعث في الدنيا يقوم على يقظة الحسّ وعلى الطرب والجمال، وهذا ما جعل صديقه يبكي إثر إنصراف الفتى والفتاة ولبكائه قصة شرحها لأبي هريرة، فالصديق أيضا كان يعيش في دنيا الجمود والتقليد داخل مدينة تفرض قيودها عليه، إلى أن بُعِثَ هو أيضا صدفة الى متعة الدنيا ...»**[34].

ومن هذا المستوى يكون الجسد بكل أبعاده الحسية إطارا عاما لوعي أبي هريرة بالوجود وتحفّزه لبعث الذات سيّما أن المظهر الحسّي للاتحاد الجسدي بين الفتاة والفتى كان مثيرا للاحتفال باللذة في مختلف أبعادها (الجنس ـ الطعام ـ الخمر ...) الممكنة : **«نعم. دعوة الدنيا، دعوة الكون. ترى هذه الأشجار وهذا الماء وهذا النور وهذا الفضاء وهذا الخلاء ؟»**[35].

إذن. هكذا اكتملت الأسباب النفسية والفكرية والمادية القصوى لميلاد البعث الوجودي عند أبي هريرة الذي استجاب لنداء صديقه وقصته الشيقة المثيرة مع الفتاة وفتاها والتي نشأ له منها **«في النفس كالشّوق الجنّة وكرهت حياتي بين الأموات»**[36].

---

(33) المصدر السابق، ص 54.

(34) **محمود طرشونة** «حديث البعث الأول : لوحة راقصة»، مجلة «الحياة الثقافية» ـ وزارة الشؤون الثقافية ـ تونس 1988 ـ عدد 50، ص 22.

(35) **«حدّث أبو هريرة قال» ـ ص 57.**

(36) المصدر السابق ـ ص 57.

وهكذا يقرّر أبو هريرة الاضطلاع بوجوده وخوض مسيرة الحياة الشاقة بحثا عن منزلة الذات وإطفاء رغبة المعرفة عبر الادراك والايمان واليقين بل أنه قد اختار بكل حرية أن يضطلع «**بمصيره في كامل المسؤولية، أن يحيا صاحيًا مفتوح العينين شديدا على ذاته وعلى غيره لا يموّه شيئا على نفسه ولا يساوم على ما يعتقده الحقيقة ولا يتسامح فيه مع أحد. فهو دائم الحيرة لا يني عن التطواح كأنما يقلقه في كل لحظة الى حدّ الذّعر أن يخطئ الوجود فيفوته**»[37].

ولهذا تكون التجربة الحسّية أولى الاطوار المهمة في مجال تجربة أبي هريرة الوجودية التي هي مرحلة جديدة من الوعي واليقظة والتمرد والقلق والثورة. فإلى أي حدّ سيدرك أبو هريرة منزلة الذات وخصائص الكينونة في مجال طور المسيرة الحسية ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(37) **توفيق بكّار** ـ «أوجاع الافاقة على التاريخ العاصف» ـ **مقدّمة** : «حدّث أبو هريرة قال» ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس 1984، الطبعة الثانية ـ ص 17.

تعـاريف

محمد بن جماعة

صفاقس : أكتوبر 1988

1 ـ تعريف أول :

فيض هو العشق،
والعشق عندي .. سيف وخيل وحرف
وبعض الحجرا ..

2 ـ تعريف ثان :

أدق مسامير حبّي
في وجه أنثى الزمان ..
تلك التي سافرت في رعشة الطفل،
بين أقواس السماء،
تشدّ العصافير ..
التي غرّدت .. أناشيد
فرحة البوح والانتماء ..
لتونس العطر والباسمين

3 ـ تعريف ثالث :

هذا أوان القول
اني أرى الاقوال تحتشد
ـ من ذا الذي بحسن قوله ؟..
... جوابنا
ـ من صدق !؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4 ـ تعريف رابع :

[يحاصرني الفرح الزاحف ..
من خلف تلّ هناك !
صوامعَ،
كانت هاماتُهم،
وأنفاسُهم ..
عشقَ المدينة ..
بتربة عامرة .. بالحجر]

5 ـ تعريف أخير :

[وينحتني الوطن عشقا كبيرا ..
ويمنحني صفحة في بياض السّلام ..
أحطّ عليها .. أخطّ عليها ..
بأحرف القلب ..
أحبّ الوطن]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في أدب الرحلة :

من تونس إلى طشقند

بقلم : نورالدين بن بلقاسم

ـ موسكو في 3 سبتمبر 1986 :

بدأت رحلتنا من مطار تونس قرطاج ـ في اتجاه موسكو ـ على الساعة الرابعة والربع مساء.

وكان ولدي زياد من المشيّعين لي بالمطار، وكان في كل سفرة من سفراتي يرافقني الى المطار فيودّ عني بحنان كنت أكنه لأبي من قبله، وإذا كانت سفرتي بالبرّ فإنه يقف مشيعا السيارة بعينين دامعتين حتى تغيب ..

وقد شيعني زياد اليوم ـ كما تعود دائما ـ وأوصاني بأن أحذر من الحوادث، وأن لا أبطئ في الغياب، وأن لا أنسى لعبة جميلة أشتريها له من موسكو.

بقي ولدي يشيّعني بعينيه الدامعتين الى أن غبت عنه بعد أن تجاوزت الجمارك.

كانت بعثتنا تتركب من ستّة أدباءهم : أبو زياد، وأبو باديس، وأبو عصام، وأبو يسرى، وأبو نوران وأم خالد.

وكانت الدعوة موجهة إليا من اتحاد الكتاب الروسيين للقيام بندوة حول (الرواية) بالاشتراك مع الأدباء السوفيات.

في مطار تونس قرطاج ـ وفي كل مطارات العالم ـ مودّعون ومستقبلون.

فهذه أم تودّع ولدها المسافر الى بلد بعيد وعيناها دامعتين ويداها مرفوعتين الى السماء كي يحفظه الله أثناء الغياب.

وهذه عروس حديثة العهد بالزواج تودّع زوجها ودموعها تسيل على خدّيها، لأن زوجها الحبيب يعمل خارج الوطن، وهو مضطر إلى أن يقطع شهر العسل ليعود الى العمل في ديار الغربة، وإذا لم يعد في الموعد المحدّد قد تنتهي إقامته وقد يخسر موطن شغله ...

فهناك في كل مطار ـ البلكي والضاحك، والمتأسف، والمبتهج، والمتألم والمستريح، والقادم جثة في صندوق من الخارج، والآتي منتصرا بعد فوزه في رواتب علمية عليا، أو بعد ربحه الوفير في صفقات تجارية وجدت طريق الرواج ...

فالمطار يمثل الدنيا بحلوها ومرّها وبإقبالها وإدبارها.

قبل أن تنطلق بنا الطائرة من مطار تونس قرطاج وقفت احدى المضيّفات بين الراكبين تلقي درسا على المسافرين في كيفية النجاة وسبل تأمينها في حالة حدوث عطب للطائرة، أو في حالة تلف جزء منها بواسطة قنبلة يكون قد دسّها فيها أحد الارهابيين؛ فمن يدري !، فنحن في عالم صار الارهاب جزءا من حياته، وصار الانسان العملة التي لا تصلح فيه ...

التفت إليّ أبو عصام وكان يجلس بجواري وقال :

ـ انتبه يا أبا زياد إلى الدرس الذي تلقيه المضيّفة في طريقة النجاة من الهلاك !..

قلت له ضاحكا :

ـ إذا وقع عطب خطير للطائرة ونحن في قبّة السماء لا يمكن أن تنجينا دروس العالم كلها، فآلاف المراكب مثل مركبة «منتزُونْق» لا يمكن أن تنقذ حياتنا من الموت.

قال وهو يمتصّ سيجارته :

ـ مهما يكن من أمر فالدرس مفيد.

أجبته :

ـ إذا حُمّ القَضَاءُ عَلى امْرِئ * فَلَا أرْضٌ تقيهِ وَلَا سَمَاءُ

تحرّكت الطائرة من مربضها، وسارت الى ممرّها المعيّن، فوقفت وقفة قصيرة تتأهب فيها لمواجهة الفضاء، ثم تحركت، ثم أسرعت، ثم اندفعت، فعلا ضجيجها، ثم ارتفعت مقدّمتها وأقلعت، وبدأت بناءات تونس تتصاغر، وظهرت بعد حين كمكعبات الأطفال المتناثرة على الارض، ثم ابتلعنا الجوّ، فلم نعد نرى إلا زرقة السماء وزرقة البحر.

كانت الطائرة تسير في اتجاه ايطاليا، ومرت بنا فوق جزيرة صقلية، استغرق مسير الطائرة في فضائها حوالي الربع ساعة، فقلت لأبي عصام ولأبي يسرى :

ـ كنت أحسب جزيرة صقلية ذات مساحة محدودة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال أبو عصام :

ـ إنها كانت ملكا للعرب !.

علق أبو يسرى قائلا :

ـ كان ذلك عندما كانوا رجالا يَرْكُزُون رماحهم في أي مكان من الأرض يريدونه.

قلت وأنا أنظر إلى وهاد الجزيرة :

ـ هنا أسد بن الفرات قد نصب خيامه، ونشر كلمة الاسلام الخالدة وجاهد جهاد الصادقين ...

صمتنا وفي صمتنا احتجاج على الواقع المتردّي الذي يعيشه العرب ... وأسف على الماضي المجيد الضائع.

اقتربنا من «بودابيست» على الساعة السادسة والنصف مساء، وبدت لنا العاصمة من الجوّ مترامية الأطراف، وظهرت بناءاتها القرمودية الحمراء وشوارعها الواسعة وحدائقها المترامية وقد انعكست عليها أضواء الغروب جميلة وذات وقع خاص؛ في مطار «بودابيست» استرحنا حوالي الأربعين دقيقة التقينا أثناءها بأفارقة وآسيويين وأروبيين كان كل واحد مسافر إلى وجهته، وكل واحد يسعى الى هدف معيّن مرسوم، وكل واحد تداعبه آمال وأحلام وتقلقه مشاكل ...

بعد الاستراحة اتجهنا ـ بالطائرة ـ رأسا الى موسكو حيث وصلنا مطارها على الساعة الواحدة والنصف بالتوقيت المحلي، أي العاشرة والنصف ليلا بتوقيت تونس.

في الجمارك تمّت اجراءات التثبّت من هويتنا، وعند خروجنا من المطار وجدنا سيّدتين روستين في استقبالنا، وعلمنا فيما بعد أن اتحاد الأدباء الروس قد عيّنهما لمرافقتنا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استقبلتانا بلطف وحفاوة؛ كانت احداهما تتكلم العربية والفرنسية وتدعى «أولقا»؛ وكانت الثانية تتكلم الفرنسية فقط وتدعى «ريمة». قادتنا السيدتان إلى حيث تقف سيارتان بسائقيهما، فشحنا في صندوقيهما حقائبنا، وركبنا هما إلى العاصمة التي تبعد عن المطار حوالي عشرين كلمترا ...

قالت «أولقا» :

ـ ستنزلون في نزل «أوكرانيا» !

علّق أبو باديس قائلا :

ـ إن هذا النزل لا ينزل فيه الا المكرّمون من الضيوف !.

سألت «أولقا» :

ـ هل يبعد النزل عن المدينة ؟

قالت :

ـ انه في قلب العاصمة !..

في نزل «أوكرانيا» قدّمنا جوازات سفرنا لأولقا التي قدمتها بدورها الى عاملة الليل كي تسجل أسماءنا ضمن قائمة النازلين، ثم وزّعت علينا دليلتنا أرقام غرفنا وبرنامج العمل أثناء الاقامة بالاتحاد السوفياتي، ثم سلمت لكل واحد منا ورقة أعدّتها ـ في الحين ـ عاملة الليل، عليها اسمه ورقم غرفته، وبها يستطيع المقيم أن يدخل الى النزل ويخرج منه، وبها يستطيع بواب النزل ان يفرّق بين المقيم فيه وبين الزائرين إليه ...

وسلمت «أولقا» كذلك لكل واحد منا واحدا وتسعين روبلا، وقالت بلطف :

ـ بهذه النقود يمكن أن تكونوا أحرارا في اختيار أكلكم من أي مطعم تشاؤون.

قلت مازحا وأنا أفكر في غلاء باريس :

ـ كمية النقود هذه جميلة ولكنها تكون أجمل لو كانت أكثر !..

قالت أولقا وقد أدركت قصدي :

ـ إن ثمن الوجبة الواحدة لا يتجاوز الروبلين، وهذا المقدرا كاف لمصاريف الاقامة ..

ونظرت نحوي أم خالد نظرة غير راضية، إذ رأت في كلامي شيئا قد يجرح دليلتنا؛ وفهمت «أولقا» ذلك فغيّرت اتجاه الكلام بقولها :

ـ ما رأيكم في برنامج الاقامة ؟ إذا رأيتم فيه شيئا لا يتماشى ورغبتكم يمكن أن ندخل تغييرا عليه !..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجابها أبو باديس :

ـ نحن راضين بالبرنامج الذي وضعتموه، وما ترونه أنتم صالحا للتغيير يمكن أن تقوموا به.

إلتفتت إليّ أم خالد وقالت :

ـ أرأيت كيف يجب أن يتكلّم الناس ؟.

نظرت إلى أبي باديس نظرة ذات معنى وقلت له ضاحكا :

ـ إن أم خالد قد أعجبها كلامك، ويبدو أنك أكثر حظا منّا في هذه الرحلة !..

قال أبو عصام وهو يضحك :

ـ دعنا من هذا وهيّا نصعد الى غرفنا !..

سجلنا أرقام غرفنا على حقائبنا وتركناها في البهو ليلحقها بنا عملة النزل، ثم صعد كل واحد منا الى غرفته ...

كانت غرفتي واسعة جميلة مجهزة بكل الوسائل : حمام الغسيل، والتلفزة والهاتف والفراش الوثير والوسائد المحشوة بالريش.

فتحت حنفية الماء الدافئ، ومزجت ماءها بالماء البارد لتتعدّل حرارة الماء فامتلأ الحوض، فتحمّمت، فزال كثير مما علقني من تعب السفر، وبعد أن تنشفت وارتديت منامتي وقفت حذو النافذة وسرّحت نظري الى الخارج.

بانت لي مدينة موسكو جميلة بالليل هادئة رائعة، تنام وهي مستيقظة على أسرارها الدفينة ... وبان لي نهرها العظيم «موسكوقا» تتلألأ مياهه تحت أضواء المدينة وهو دائم التدفّق والجريان ... مدينة موسكو رائعة في الليل، إنها بدت لي مثل راهب يتأمل الأمس واليوم والغد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم تعب السفر لم يأتني النوم، فقد تتابعت في ذهني الأفكار والخواطر، وتلاحقت في مخيّلتي الصور والمشاهد، فأذهبت عنّي ما كان يراودني من خيالات النوم، وتقلبت في فراشي حوالي نصف ساعة أخذتني بعدها سنة نوم، فاستيقظت مع الساعة السابعة بتوقيت موسكو، وكان اليوم هو يوم الخميس 4 سبتمبر 1986.

كانت مدينة موسكو يغلفها غشاء من الضباب الرقيق، وظهرت لي من غرفتي في الطابق السادس جليلة مهيبة صريحة مع نفسها ومع الناس. أحسست بأن أرهاق السفر في اليوم السابق وقلة النوم ما يزالان يثقلان بدني فرجعت الى الفراش وتمدّدت من جديد ... وحاولت استدعاء النوم بالاسترخاء والتمطّط فامتنع عليّ، فقد كانت الأفكار والخواطر في ذهني تأخذ برقاب بعضها بعضا، فتمْنع عنّي النوم الهادئ وتزيد من ارهاقي ...

كان موعدنا في هذا اليوم مع دليلتينا : «أولقا» و «ريمة» على الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا.

ولمّا لم يأتني النوم ـ برغم محاولاتي ـ عاودت الوقوف من جديد بجانب النافذة المطلة على المدينة، فبدا لي أن كل ما في موسكو يدل على الاتقان والجدية ويدل على القوة والعظمة، فهذه الطرقات والشوارع مصبوبة صبًا بالاسمنت والحجر، وهي واسعة وتخطيطها مستقبلي، وهذه الحادئق فسيحة تكاد ا لمدينة تغيب فيها، فالذي خطط لهذه المدينة قد فكّر في الأجيال القادمة، ولا غرابة أن يعرف الانسان الروسي أن هذا العالم هو عالم القوة، ولذلك سعى ويسعى إلى أن يكون قويا في كل شيء ... وسعى الى أن يوفّر الخير لنفسه ولغيره في دأب الصابرين وصمت الجادّين، وجد العازمين، وعزم المكافحين في سبيل منزلة انسانية أحسن.

نهر «موسكوقا» يمشي في هدوء وصمت ودأب، كما يمشي الشعب السوفياتي في هدوء وثبات وتصميم ... وقد استطاعت يد الانسان السوفياتي الجاد أن تقيّد هذا النهر العظيم، وتخفف من غلوائه وتبني حافتيه ـ على امتدادهما ـ بأحجار صلدة صمّاء، لا يؤثر في بقائهما التدفّق الدائم لمياه النهر ... لم أر بدًّا من ارتداء ثيابي برغم أن موعد اللقاء مع دليلتينا لم يحن بعد.

نزلت بالمصعد الى البهو الأسفل للنزل، فوجدت أبا عصام ببهو النزل في الانتظار، قال لي بعد تحية الصباح :

ـ هيّا نذهب لنتناول طعام الافطار !.

قلت له :

ـ لنذهب الى الدور الأول ففيه يقع المطعم كما أخبرتنا دليلتنا «أولقا» الليلة الماضية.

صعدنا الدرج، غبنا في الممرات، فرأينا سهما يشير الى النزول بالدرج الى أسفل، فنزلنا حتى وصلنا المطعم؛ اعترضتنا القيّمة عليه، فكلمتنا بالروسية، ففهمنا بالقوة أن وقت الأكل قد انتهى، ووجدنا ثلاثة رجال فاتهم وقت الافطار مثلنا، سلم علينا أحدهم لمّا سمعنا نتحدّث بالعربية، وسألنا قائلا :

ـ من أي بلد أنتم ؟

قلت له :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ نحن من تونس !

وسأله أبو عصام قائلا :

ـ وأنت من أي بلد ؟

أجاب :

ـ أنا من لبنان !.

فأضفت في لهجة فرحة :

ـ يا أهلا بلبنان البطل !..

ردّ عليّ محدثي :

ـ لو كان لبنان بطلا لتغلب على ضعفه ولضمّد جراحه، ولعاد قِبْلَةَ العرب كما كان.

خرجنا جميعا من المطعم، وغاب الاخوة اللبنانيون في ممرات غير ممراتنا، ونزلنا نحن الى البهو الأسفل، حيث قصدنا المقهى الكائنة به؛ وقفنا مع الواقفين في الصف، ولما وصل دورنا طلب كل منا قهوة وبسكويتا ... جلسنا أمام طاولة، كان يجلس حذوها رجل زنجي أسود ... سألت الزنجي عما إذا كان يتحدث بالفرنسية فقال باندفاع والفرح يشعّ من عينيه :

ـ نعم !..

فقلت له :

ـ أأنت طالب إفريقي في موسكو ؟

أجاب وقد بدأ الانبساط يسري في أسارير وجهه :

ـ أنا افريقي من «بورندة»، جئت في بعثة حكومية الى موسكو.

وسألنا بدوره قائلا :

ـ وهل أنتم من النمسا ؟

ضحك أبو عصام وسأله بدوره :

ـ وهل في وجوهنا ما يدلّ على أننا من النمسا ؟

أجاب باحتراز :

ـ لا أدري !..

أجبت بدوري متداركا الموقف :

ـ نحن من تونس :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال مرحّبا وقد شعّت عيناه بالفرح أكثر :

ـ مرحبا ... كلنا أفارقة إذن !..

فقلت مؤكدا قوله :

ـ نحن قد ولدنا في رحم قارة واحدة !..

لم أحتس القهوة السوداء، فقد كانت فيها نكهة لم تقبل عليها شهيّتي، واكتفيت بأكل البسكويت. ولما أتمّ أبو عصام قهوته ودخّن بشهيّة سيجارتين ـ كان قد أشعل الثانية من عقب الأولى ـ قمنا وانتقلنا الى البهو، وجلسنا على كراسي الانتظار، فتتابع قدوم أفراد وفدنا، وقدمت دليلتانا : «أولقا» و «ريمة».

نبهتنا «ريمة» إلى أن السيارتين في انتظارنا خارج النزل، فخرجنا، وركبناهما وقصدنا مقرّ اتحاد الكتّاب السوفيات.

يوجد مقرّ الاتحاد في بيت عائلة «ستوف» وهو بيت شاسع كثير الغرف ومتعدد الأجنحة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و «ستوف» كان من أرستقراطية موسكو، وكان صديقا حميما «لتولستوي»؛ ولذلك عندما ولجنا حديقة هذا البيت كان أول ما قابلنا فيها تمثال برونزيّ كبير للروائي الشهير تولستوي.

كان تولستوي جالسا بمهابة ووقار، وعلى ملامحه تفكير عميق، واغراق في التأمل، وكان رأسه مائل الى الامام ولحيته تتدلى على صدره، وكان يمسك كتابا بيده هو رمز لما أبقى هذا الكاتب العظيم من فكر خالد، كان النواة الأولى للثورة الروسية المعاصرة.

وأمام تمثال تولستوي أخذنا صورا تذكارية، ثم دخلنا قاعة الاتحاد وناقشنا برنامج العمل لليوم الموالي 1986/9/5، وهو يحتوي على محاضرات أعضاء بعثتنا الستة، وعلى محاضرات ستة أعضاء من اتحاد الكتاب السوفيات.

بعد أن تناولنا طعام الغداء بمطعم اتحاد الادباء، قصدنا مع دليلتنا «نوفو دفتسيا مونستير» (Nouveau Devitchia Monastère)، وهو مكان يحتوي على متحف الرسم الروسي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، كما يحتوي على قبور الارستقراطيين ممن عاشوا في زمن ما قبل الثورة، وفي هذا المكان الذي هو عبارة عن حديقة واسعة لقبور جنرالات روسيين، وقفوا مواقف مشرّفة في الدفاع عن بلادهم.

وقريبا من هذه المعالم يجري نهر «موسكوفا»، وقد جلس بعض السواح على ضفته ووقف بعضهم الآخر يتأمّل من مجرى النهر الذي تحف به الأشجار من الضفتين كما تحف الأهداب بالعين.

وتشاغل كثير من الصبيان والشيوخ بإلقاء فتات الخبز الى الاوزّ العائم فوق صفحة الماء.

وظهرت خيالات الاشجار وهي منعكسة في عمق الماء كأطياف حلم لذيذ ...

ثم قصدنا الساحة الحمراء، كانت الساحة عبارة عن رحبة واسعة بلطت أرضيتها بأحجار مستطيلة صلدة وصغيرة نسبيا، وكان كل ما يحيط بالساحة من بناءات يوحي بالفخامة والعظمة ويعطي الانطباع للرائي بأنه أمام هندسة معمارية تمثل قطعة من الفن الرائع، وقد جمعت بين ملامح الفن المعماري الشرقي : الصيني والهندي والاسلامي.

وعلى يسار الداخل الى الساحة الحمراء يقع مبنى الكرملين ذو البناءات الروسية الأصيلة والفخمة، وبجانب المبنى الرئاسي يقع قبر لينين، وهذا المبنى مدهون باللون القهويّ وقد وقف أمامه صفّ طويل من الزوّار، وكان باب القبر يحرسه جنديان متجه كل واحد منهما الى الآخر، ويبدو عليهما الاستعداد والتيقظ، وكان باب القبر مغلقا، إذ كان لا يفتح لزيارة السياح ـ من البلدان الاشتراكية خاصة ـ إلا في الصباح حتى حدود منتصف النهار تقريبا ... كان الواقفون في الصف الطويل، والراغبون في زيارة قبر لينين يلفهم الخشوع والصمت ...

تساءل أبو باديس في تعجّب :

ـ أكل هؤلاء جاؤوا للزيارة ؟

أجابت ريمة باقتضاب :

ـ نعم !

قال أبو يسرى هامسا :

ـ يبدو والخشوع على الواقفين كأنهم أمام قبر نبي !..

أجابه أبو نوران :

ـ لا غرابة في ذلك فالرجل عظيم، وعظمة الرجال هي التي تستدعي المهابة !..

أكدت ريمة في لهجة متحدية :

ـ إنّه لينين !..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت مستطردا :

ـ لا شك أن الرجل كان ذا قدرة عجيبة لأنّه بثورته سنة 1917 استطاع أن يغيّر وجه العالم. فثورته أثّرت في مسار الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدى كل الشعوب.

قالت أم خالد :

ـ إن العدالة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة متأثرة بشكل كبير بالاشتراكية الحديثة !

أضاف أبو باديس :

ـ لا شك أن انتصار الاشتراكية في روسيا كان له الفضل الكبير في تغيير نمط الحياة المعاصرة.

قال أبو عصام :

ـ إن في حياتنا العربية وفي اسلامنا ما يجعلنا نقتنع بما عندنا.

قلت معلقا على كلام أبي عصام :

ـ كما تتسلف اللغات من بعضها فكذلك يتسلف الفكر الانساني وتستعير الحضارات من بعضها بعضا، وحضارتنا العربية محتاجة الى أن تأخذ ما هو صالح من النظم الاقتصادية والاجتماعية يتناسب مع ظروفنا وحياتنا وعاداتنا ودِيننا

كان أبو عصام يدخّن كعادته، وكان الناس في الساحة الحمراء لا يدخّنون، فحملت ذلك على محمل الاحترام الذي يكنه أهل البلدان الاشتراكية لنينين، فقلت لأبي عصام :

ـ اطفئ سيجارتك فلعلّ أهل البلد لا يرغبون من الزوّار أن يدخّنوا في الساحة الحمراء !..

قال محدّثي :

ـ وهل نحن في ساحة نبيّ ؟

قلت له وأنا أشد على احدى يديه :

ـ دارهم مادمت في دارهم ...

(يتبع)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواسم الاشتهاء

كمال بوعجيلة

(1)

هذه مواسم الاشتهاء
تمرّ على عجل
والصغار بلا أحذية
والصّبايا بلا عاشقين
والصقيع
يلفّ الأغاني
ويمحو الأماني
ولا بحر .. لا نهر ..
كي يهدأ الجرح
ويطرب
هذا المغنّي الحزين

(2)

موسم آخر يمضي
والأرض لم تُعلن فسخ عقود تَملُكها
وانتهاء الأوبئه
موسم آخر يمضي
والصبايا لم يردّدن أغاني
وما أرجعن للعشق نقاوته
ولم يمنحن لليل بذور اللذة البكر
كي نأخذ الاحلام شكل المعجزَه
موسم آخر يمضي
والرياح أهملت حمل المياه العفنَه
كم بعينيك زوارقي أبْحرتْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عجبا ! كيف ينسى البحر كل الأشرعَه
والرياح كيف لا تُسقط كل الأقنعَه
كم بعينيك تغنَّيْتُ وأشعلتُ المصابيح لِلُقياكِ
تأخرتِ ...
وما أسعفني الخمر ... ولا الشّعر ...
ولا الفجر أزال عنّي حبل المقصلَه
أي نجم يحفظ سرّ اغتراب القُبَرَه
حين أهدتْ بيضَةً لِلسَنبلَه
والصّغار كيف ناموا دون انتظار الأرغفه
أي نجم يذكر شوقي لك
كي نلتقي رغم زدحام الأرصفَه

(3)

عُدتَ من حيث أتيت
كان معي بعض الحكايا
للصّبايا العاشقات لون دمعي
وعلى كفيّ استراحَتْ ابتسامات شخيَّه
علّميني كيف لا يتبع المَوْج مَدَاه
وخذي كلّ وريقاتي الخريفية
علميني كيف لا يتبع الرمل ذراه
وتخَلَّيْ عن نداءاتي وأحزاني
أتعبتني ريحهم
أسقطتْ من يدي جزيرةِ الحبّ
لم يبق سوى رؤياك أنت
جميلة كنتِ بحجم البحر والحلم ونجم العشق
وبريئة كنتِ وما حَمَّلتُك يوما دمي
فتقَدَّمي نحوي ولا تخشي صليل سيوفهم
من خشب قُدَّت وقُدّوا من عجين

(4)

كيف تنامين بني وبين الجراح ولا تنتهين
أهو الحبّ يُبقيك لي
أم هي آخر المعجزات

يا امرأة شبه أمّي
وأمّي على وجهها الوشم
كان يخيف الخفافيش حين تداهمني
وفي الليل حين أداعب ثدييها
تدفعني في الظلامْ
لأدرك منذ الولاده
بأن الذي سيجوع أنا
فأبكي وأقتات من مهجة الليل ثم أنامْ
لماذا تعرّيْتِ في الحلم
ثم تلاشَيتِ كالعطر بين يدي
يا امرأة علّمتني
بأن الذي يعشق البحر يمضي إليه
هو البحر أيضا
قد افتقد لونه
وما عاد يحمل أسراره والأماني
تعالي إذ جنّ ليل المحبّين
أعرّك نهديك بالياسمين
وأصبغ جلدك بشوق السّنين التي فرّقتنا
تعالي أكون لك أول العاشقين
وكوني لي الدفء والمهد
فقد أرهقتني سنين الرحيل الطويله

من مجموعته الشعرية «كَشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



صفحات من مذكرات الشيخ الاستاذ محمد الكامل التونسي

اعداد : **عبد الرؤوف الخنيسي**

المحاورة الأولى :

«اعتقد أنك اطلعت على التاريخ وعلمت أن بني أمية اغتصبوا الخلافة اغتصابا وهم الطلقاء. وعلمت أن العرب سكتوا أو أسكتوا بالمال أو بالاضطهاد أو طمعا في المال أو خوفا من الاضطهاد وأنت خبير بان أحفاد الرسول قتلوا لما وقفوا عثرة في سبيل الوصول الى الخلافة، وهل أتاك نبأ الاخطل الشاعر المسيحي الذي كان يدخل على عبد الملك الأموي وهو خليفة الأمة وحامي حمى الاسلام والخمر يقطر من لحيته وهو يقول :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولست بصائم رمضان يوما ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بقائم أبـــدا أنـــادي لمثل العير حي على الكفاح

أو يقول :

إذا ما تدعي علي ثم علّني ثلاث زجاجات لهن مدير
خرجت اجر الذين هوا كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

وكأنني بخليفة المؤمنين يبتسم وبطرب لين يسمع شاعره الذي أعده لمقارعة من آووا رسول الله ونصروه في سبيل الحفاظ على خلافة كانت سوء ما علم الاسلام والمسلمين. ولقد استهان بنو أمية للوصول الى الحكم بكل شئ فلم يقف أمامهم دين أو رادع يردعهم الوصول الى غايتهم من أي طريق كان ثم جاء العصر العباسي فسمعنا ابراهيم الامام يقول : اقتل كل من شككت فيه

وان قدرت لا تبقى على ظهرها أمويا أو عربيا فمن قتل عن الشك وحاول أن لا يبقى على ظهرها عربيا، هل يمكن أن يتورع عن تحريف قاعدة دينية أو يكذب على النبي أو يغير أو يبدل حديثا يجرّ له نفعا ويثبت له حقا في الحكم ونحن نعلم ان الدين كان في هذا العصر هو السلاح البتار للوصول الى مئارب القوم ؟!.

وأريد منك أن تتدبر قليلا في الفرق والمذاهب التي نشأت في هذا العصر. ألم تسمع بالخوارج والشيعة. أمل يختلف الناس في القول بخلق القرآن وعذب من اجل ذلك من عذب وهل كان خلال هذه الفرق وهذه المذاهب على تجارة أو ميراث أم كان سداد الدين ولحمته الديني وهل من المنطق أن هؤلاء لم يحرقوا أو يبذلوا ولم يكذبوا ولم يبتكروا أشياء في الدين وعلى الدين. وما بقي بين ايدينا من كتبهم شاهد على أنهم بذلوا ما استطاعوا للتغلب على بعضهم. وانك تعلم ان الاسلام ابتلع أمما وشعوبا وأدخلها في بوتقة الاسلام. فمن الطبيعي أن يكون فيهم من رضي عند هذا التحول في العقيدة ومنهم من يكون غير راض. فالرسوخ عقيدته الأولى. أو لذهاب سيادة جنسه واستلاء العرب عليهم بهذا السلاح سلاح الدين الحنيف فهل أنت آمن بان هذا القسم يبقى مكتوف الايدي لم يسع لافساد هذا السلاح بالتحريف أو التبديل والكيد الى الاسلام والمسلمين. ثم انظر كيف اتخذوا لانفسهم اسم الدولة الفاطمية والدولة العباسية أو العلوية ألم يكن ذلك دليلا على الخداع باسم الدين فهم يريدون أن يرشدوا الناس الى قرابتهم من الرسول الاعظم ليوهموا الناس انهم أحق بهذا الميراث وأولى الناس بالحكم.

والعجيب اننا نرى كثيرا ممن كانوا على دين المجوس ثم اسلموا وبعد وقت قصير اصبحوا من الأولياء الصالحين فينتقل الرجل من المجوسية الى الصلاح بين عشية وضحاها، ولعله بعيدا عنا فهم القرآن بعيدا عن أسرار لغة الدين) ومن أين لنا أن نعلم بان هذا المجوس صادق في اسلامه أو أنه لم يتأثر بطقوس عبادته القديمة ولم ينقل منهما ما اختلط بروحه الى الدين الجدي سواء عن قصد أو غير قصد فالنفوس تأنس بما فطرت عليه وليسا ببعيد ان يكون سبب ادخال التصوف للدين الاسلامي هؤلاء القوم لانهم

اعتادوا التقشف والرهبانية وتقربوا الى آلهتهم بتعذيب أجسادهم. ولما لم يجدوا ما اعتادوه من أديانهم في الاسلام ادخلوه قاصدين أو غير قاصدين

وأعجب من العجيب اننا تأثرنا بهم وجعلنا التقشف وشغف العيش مثلا أعلى في العباد، والله يقول : »قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق». ويقول : «كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم أياد تعبدون» فهل يليق بعاقل مفكر أن يلتمس دينه من بين هذه الخلافات وهذه المعميات وهل يجد ربه ان يعتمد على كلام المخلوق ويعرض عن كلام الخالق ثم يكون مؤمنا ايمانا قاطعا لا ريب فيه. ليس من المعقول ان يعتمد المرء في امور يتطلب فيها اليقين القاطع على ما وصلنا من هذه من هذه العصور التي كانت تتحارب بالدين وتحارب الدين بل كانت تتخذه سلّما تصعد عليه الى غاية دنيوية وتجعله سلاحا يقاتلون به بعضهم ولا تخشى أو تظن انني أحاول أن أبقى في قلبك الشك بما قدمته لك ونحن نعلم أن العهد بيننا وبين صاحب الرسالة أصبح بعيدا فتقول اذا لم نعتمد على ما ورد في هذه العصور كان ذلك تهديما وابطالا للعقيدة وهو معنى الكفر. الجواب على ذلك ان الله تعالى ارسل نبيه بالقرآن واخذ على نفسه عهدا ان يحفظه لنا وجعله معجزا لا يتيسر لفصحائهم وبلغائهم أن يقلدوه أو يزيدوا عليها مرة تلو الأخرى فما كان منهم الا ان يخضعوا له ويؤمنوا به كارهين أو مختارين. واعتقد أن بعضهم ادرك عظمة القرآن فحاول أن يوجه الناس الى الحديث لأنه قادر عن تقليده ومنهم من وجه الناس الى أقوال العلماء كي يضرب بسد بيننا وبين كتابنا فيعبد الطريق الى مصالحه وغاياته ولعلهم نجحوا بعض الشيء. ألست ترى ان الوعاظ والمدرسين والباحثين لا يعتمدون الا على الحديث الذي سأحدثك عنه قريبا، ألم ترهم في بدالهم أو خطبهم لا يذكرون لك آية من الكتاب. واذا ما جئتهم بآية قابلوك بحديث وفعلوا أكثر من ذلك فقد نسخوا القرآن بالحديث كما سأذكره لك في موضعه.

ولقد سمعت وأنا تلميذ صغير من بعض الاساتذة حين سمعني استشهد بالقرآن قال : «لا تستشهد يا بني بالقرآن لأنك لا تفهمه. ألم تعلم أن صوابه خطأ وخطؤه كفر» انظر بالله عليك الى هذا التحذير من فهم كتاب لم ينزل الا

لافهمه أنا ويفهمه غيري وأعمل به أنا ويعمل به غيري وسوف لا أحاسب الا على العمل بما جاء فيه وما جاء فيه فحسب وقد أخبرنا الله بقوله «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وقال تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم» ولم يقل الا ما يأتي به العلماء ويستحسنونه لتكون له على الناس الحجة البالغة. وها نحن أولاد قد جعلنا القرآن فصلا من فصول الموسيقى لا نطرب لسماعه الا من صاحب الصوت الرخيم إما التدبر في آياته واما العمل بمعناه والامتثال لما يأمر به وينهي عنه فذاك امر ذهب مع أصحاب رسول الله.

ويجدر بي أن أحذرك من ان الايمان الذي ستحاسب عليه لا يقبله الله منك الا اذا بلغ حد اليقين فالشك في العقائد لا يظفر بالسلامة ولا ينجى صاحبه. وهل أنت بلغت حد اليقين ان اعتمدت على غير القرآن واقتصرت على أقوال المخلوقين دون كلام الخالق وعولت على ما مر في عصور قدمت لك طرفا من حياة اصحابها وخلافاتهم ومئاربهم. فليست المسألة مسألة خلاف تسمح لك أن تأخذ بمذهب البصريين ولك ان تأخذ بمذهب الكوفيين. وانما هي مسألة ايمان وعقيدة ستكون سببا في تخليد في جنة ابدا أو في نار أبدا وهل في امكانك ان تقول لله يوم الحساب انني اعتمدت على فلان أو فلان وتكون بذلك ناجيا ومن قال هذه الأقوال قد جاء بعد أن انقطع الوحي وهو غير معصوم ولم نجد معنى كلامه في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما كلامه الا خبر يستحمل الصدق والكذب.

ألم يكن الاجدر بك ان تعتمد على القرآن حتى اذا حاسبك الله قلت له لقد اعتمدت على ما في كتابك الذي ارسلته لنا وأكرمتنا العمل بما فيه ووعدتنا بحفظه وهو ما وسع طاقتي وأنت قلت في كتابك «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» واختبرنا بان نقول في دعائنا «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به».

ولعلني أطلت عليك فلك ان تأخذ طريق السلامة مما قدمته لك مع العلم ان الامر ليس بهيب لانه يتعلق بالجنة والنار ان كنت من المؤمنين بالجنة والنار ويتعلق بحياة خالدة ليس لها نهاية.

المحاورة الثانية كيف نشأت الطرق ؟

فلسطين أيتها العربيّة



عبد المجيد زين العابدين

فلسطين أيتها العربيّة ... برغم هجومات خصم قويّة
بما عنده من سلاح قوي ... يسخّره للنفوس البريّة
يسدّده نحو من ضاق ذرعًا ... بظلم بدافع نفس أبيّة
وراح يدافع عن أرضه ... بشتّى الوسائل حتّى المنيّة
بدون سلاح سوى أن يقول: ... «فلسطين أرضي وأرضي الوفيّة
فلسطين أرضي وأرضي الحدود ... ولو أنّها اليوم صارت سبيّة
نريد فلسطين لا غيرها ... ومهما يكن من دم أو أذيّة»
فلسطين أيتها العربيّة ... برغم هجومات خصم قويّة
بما عنده من سلاح قويّ ... يسخّره للنفوس البريّة
يسدّده نَحْو زين الشباب ... ومن لم تكن عنده بندقيّة
يسدّده نحو كل الصغار ... فيا للمصيبة يا للرزيّة
وقد طالبوا بالحجارة حقًا ... وألقوا بأنفسهم للبليّة
عصافير جنّة خلد إلهي ... يضوع شذاهم إلى الأبديّة
ونحو الحوامل لم يظهروا ... أمام الأجنّة أدنى تقيّة
يريدون إجهاضها بالسلاح ... فيا للسّفالة يا للدّنيّة
ولم يعرفوا أنّ خلف الضحيّة ... مئات الأزاهير تأتي سويّة
لتخلف من آب لا ينثني ... لحمل المشاعل وسط الثنيّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسطين سيري ولا تيْأسي ... وكوني على الظلم دومًا عتيّهْ
فهذا امتحانك بدءُ انتصارٍ ... على الظلم والعسف والوثنيّهْ
فحقّقت فيه مغانم شتى ... ولو أنّها جلّها معنويّهْ
لقد زعزعت صرح هذا الظّلوم ... وأبقتهُ نهب الشكوك هديّهْ
وأنبتت الرّعب في قلبه ... فأمكن منه وصار الضّحيّهْ
لقد فقد الرّشد إثر انهزامٍ ... ثقيل عليه كأنّه دِيّهْ
فأوغل في الفتك والبطش حُمْقا ... وهَاج ومَاج بدون رويّهْ
وفزت بلفت الشعوب إليْك ... وإيلاء حقّ لأسمى قضيّهْ
قضيّة حقّ قضيّة عدل ... تراءت على الكون حقّا جليّهْ
تضحّين فيها بمن تنْجبِينَ ... فسالت دماهم عليك سخيّهْ
يَخَالون أنّهم أقْبَرُوكِ ... ولكن بشعبك مازلت حيّهْ
تتيهين وسْط الحروب طروبا ... كأنّك للحرْبِ أخْتٌ صفيّهْ
كأنك سرْتِ إلى مهرجانٍ ... لعرض فنون مِنَ الأرْيَحِيّهْ
تلَوْتِ عليهم نشيد الاله ... ورتّلت نغْمتك القدسيّهْ
بأنّ فلسطين كسْب لنا ... ولم يبق للنّصر إلّا بقيّهْ

أيا من طغى بالسلاح علينا ... ستلقى دويّا يضاهي دويّهْ
فللظلم صَوْلَتهُ ثم يَخْبُو ... كمثل حريق رياح فتيّهْ
ولا بدّ أن تهدأ الريح يوما ... وتصفو السّماء وتبقى نقيّهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اطلالة على تاريخ قليبية في العهد الحسيني

الباشا علي يعزل شاوش القبجية من حراسة قليبية في القرن 12 هـ و 18 م

بقلم . **محمد الصادق (رشيد) عبد اللطيف**

في مطلع القرن 18 توطّدت العلاقة بين قليبية ومؤسس الدولة الحسينية (حسين بن علي) الذي كان يعتبرها نقطة دفاعية بحرية على غاية من الأهمية، وكان يظهر لأهلها الاحترام والود، مما جعلها تناصره وتؤيده كرمز للسلطة ولأن الباي حسين كان يستعين بالأعيان فأشركهم على نطاق واسع في استغلال موارد البلاد فتكونت على عهده عائلات من (اللزّامة) وأسر من الوكلاء يديرون أملاك (البايليك)[1] وهذا التشجيع العاطفي جرّ لها متاعب اقتصادية وسياسية وأمنية وعلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلمس ذلك جليا حين وقعت الوحشة بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا وانحياز قليبية الى الأول وحين ثار علي باشا (باي المحال في فيفري 1728) جر وراءه كل الناقمين في البلاد (قسما من الطبقة الحاكمة ومن أعيان تونس، وحين انتصر كان يحكم البلاد بصرامة بعد أن اغتصب العرش بقوة السلاح ولما سيطر على الوضع واستبله الأمر كان يصدر الاحكام الدموية ويهدم المدن ويعزل الموظفين وما فعله مع أصحاب عمه من شنق وعزل وصلب على السور وقطع الرأس يخفف من تهمة الجبن وحتى الذين أيدوه في ثورته لم يسلموا كلهم من بطشه[2].

سلّط اذا نقمته على كل من يشتم عنه رائحة (الحسيني) وقد نال قليبية في بعض رجالاتها واهلها، حيث سام سكانها من العذاب الوانا وحرمهم الأمن والأمان وعزل منهم كل مسؤول خاصة من كان في موقع حساس (عالم كبير،

حارس البرجع، آغا الطبجية (المدفعية) شيخ الدوّار) وكانت المراسلات تترى على شيخ البلد (الحاج محمد صمود أوفا باشي) لمراقبة كل حركة مشبوهة واعلام القصر الملكي بما يجدّ من مواقف يشتم عنها الولاء للغير، الا أن هاجس الخوف على مركز الحكم أملى على الباشا علي بأن يعزل عالم قليبية وفقيهها الشيخ قاسم الزواري من قضاء باردو نكاية به وببلده وتحجيم رأسها في شخص عالمها ثم يمدّ يده للمسؤول عن البرج وينكل بعائلته وهي العائلة المعروفة لدى البايات بالصرامة والجد والحزم والثقة والامان وتدرجّها في الرتب العسكرية، والامر أو المراسلة الملكية، تفضح تخوفات الباشا علي من أهالي قليبية فيقرر عزل أحدهم حسب (نصّ الأمر).

أمرنا هذا الى السيد الحاج محمد صمود أوصا باشي أن حزيجي قبجي[3] القوم الذي كانوا يخدم في برج قليبية ورفعنا ايديهم على الخدمة وجعلنا قبجية جدد عوضهم واشتكوا لنا القو، ازاء شتمهم طلبوهم في الاداء وحكمنا انهم ما يلزم غيرهم يلزم عروشهم ولا سبيل لهم عليهم ولا يطرقهم منهم احز من اخواتهم بشيء لا منهم مخازنية على هذا يكون العمل والسلام من الفقر الى ربه تعالى الباشا علي وفقه الله آمين في أول محرم سنة 1161 هـ (كما نرى في تحرير هذا الأمر المستوى العلمي الذي كان عليه القوم يومها).

ثم واصل مضايقة السكان في معيشهم وضيق عليهم الخناق وحكم فيهم السيف حتى ضجوا وطلبوا العفو وقبلوا الولاية واظهروا له ولاسرته الطاعة والولا. عندها خفف عنهم الحصار الأمني والاقتصادي غير ان وضعا دمويا كهذا لن يعمر طويلا حتى اذا قتل الباشا علي عادت الطمأنينة لأهالي قليبية وأقبلوا بجدّ على تنشيط حياتهم ودفعهم الحركة الاقتصادية والعمرانية وطيّ صفحة الماضي بكل ما فيه من دما ودموع وتلك هي نهاية الحكم المطلق كما يقول ابن أبي الضياف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعاليق :

قائد البرجع كان يشارك حاكم المدينة في تسيير شؤون المدينة وتهريف شؤون أهلها وحمايتها وحراسنها.

آغا البرج (القائد) معه حامية عسكرية بها قائد الطبجية (مدفعية) وهي يجني الاداءات المالية للحكومة ويدفعها لها.

الحاكم العسكري بالبرج يشمل نظره (حامية مدينة قليبية) وحراستها ليلا ونهارا وله تسخير من يشاء (شيخ البلد، شيخ الدور) يقوم بهذه المهمة.

(1) صفحة 53 من كتاب تاريخ تونس لمحمد الهادي الشريف.

(2) صفحة 25 من كتاب الوراثة على العرش الحسيني لمحمد الصالح مزالي.

(3) لقب القبجي مأخوذ من التركية (قبوجي) تنطق قبودجي أو قبجي وتنطق قيدجي) بمعنى بوّاب. حاجب، في الجزائر كانت تستعمل بمعنى مبعوث السلطان الى داي الجزائر عون الشرطة الكلمة اذا تركية يبدو أنها تطلق على نوع من أعوان الادارة وكان بتونس بدربية الباي (أي المحكمة) شاوش يدعى (شاوش القبجية) حسبما ذكره ابن أبي الضياف في الاتحاف ج 3، ص 160.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خماسيّة حقد مجنونة



السّعيد المنصوري

كم مرّة ألغى الفتى مواعيده
وأعلن الحداد في عمق الرّبيع
كم مرّة ؟
كم مرّة مدّ يده السّمراء
للحنـــاء.
في ثبات وحنين وحنـــان
وخشـــوع.
ثم عاد من جديد
يسرج خيل الرّحيـــل
يصطلي برد الفراغ
يعلن حتف الرّبيـــع.

★ ★ ★ ★

كم مرّة جلس، والآمال تهجر عينيــه
كما العصافير تناءى دور الشتـاء
في فصل الشتـــاء...
كم كانت قصائده... هجاء...
لا... لا... لا... لا... لا...
ألوان نيسان سحاب... سراب
عذاب... خراب... دمار... فناء...
شمـوع... دمـوع الفتى...
موشـح... بكـاؤه...
أنشودة... آهاتـــه
كبرياء. وكبرياء وكبرياء.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إسأل فريقك عن رفيقك
إسأل حريقك عن رحيقك
إسأل عشيقك عن بريقك
أعِدِ السّؤال يا نيسان
ولا تخشى أجوبة القدر.
فليس للجبناء سوى حبيبات
يقاتلن الضّجــزْ.
ولَيسَ لَكَ في أفْقِ المَجَانِينِ
سِوَى مُنَاجَاةَ القَمَرْ.

★ ★ ★ ★

حَدَائِقَكَ جَاهِزَة... حُبْلَى بِآلَامِ الطّفولَة
حدائقك زاهية... مزدانة... فاتنة
لا ترحل... ... ... ألوان نيسان جميلة
وكن شوكا أرقا... غرقا... سعيرا
يصطلى حقد القبيلــة
وارفع لواءك عاليا... وأعلن سقوط الرّذيلة.
واستضف في روضك كلّ ربيع بائس
فقد نور الفضيلــة

★ ★ ★ ★

كم مرّة شيّد الأسوار والأشجار والأنهار
كم اقتنى من عود ومن طبل ومن دفّ ومن كلب
وزَفّ الرّيف غصبا للحضارة.
كم تغنّى بالحياة
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
«قد تزوّجت جميع الفتياتِ»
وأقمت إقليم النفايات
على أرض الدعارة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خبر في جريدة

قصة :

المختار المومني (أبو حسان)

صفاقس

الاهداء : إلى التي قرأت مأساتها في جريدة «الصباح الاسبوعي» يوم 1988/10/10

تدورين على جنبك الأيمن ... فالأيسر، فالأيمن ... فالأيسر ... كذا تفكرين ...

ـ «لست أدري بماذا شعرت عندما بشرني أبي بأنه سينظم لي ولاخوتي دروسا خصوصية ... كنت من جملة المعجبين بسيرته ... وبدماثة أخلاقه ... بكرت في اليوم الأول من زيارته على غير عادتي ... فوجدته جالسا مرفوع الرأس ... مشرق الطلعة ... في رقة الفجر ... ما إن شعر بدخولي حتى علت ثغره إبتسامة ملائكية خضراء.

تتقلبين على جنبك ... تدورين على جنبك الأيسر ... فالأيمن ... فالأيسر ... فالأيمن ... تنشبين أظافرك في الوسادة.

ـ «صباح الخير يا ...

ـ رؤى ... نعمت صباحا يا ...

ـ نجيب ... اسمي نجيب».

وسيم ... وبسرعة أحببته ...

«وكانت القبلة الأولى ... كانت القبلة نارا على شفتي ... وحريقا على قلبي ... وزلزالا في كياني ... وعاصفة في نفسي ... أصبح نجيب شغلي الشاغل ... في ليلي وفي نهاري».

قبلني كثيرا وحدثني أكثر ... جعلني أحلم بيوم مشرق يأتيني فيه على جواد أشقر ... ويخطفني ... يسكنني قصرا تحوطه حيطان عالية ... وتحرسه كلاب شرسة ... فلا يعتب أحد أبوابه.

ـ أنت ! من أنت ؟! أنت أول حب عشته، وبعده لن أعيش أهديك الزهرة، وأسكنك المرّيخ ... أنت ملاك يدغدغ الأرض فتلد الأرض أزهارا ربيعية طاهرة ... أنت لولاك لما كان لهذا الكون نظام ... في عينيك ليال حالمة ... في عينيك ينتحر فجر ليولد فجر يضم الانسانية ...

الضجيج يتوالد ... ضجيج في دماغك ... ضجيج في أعصابك ...

ـ نجيب

ـ لا أعرفك ... انتهينا ...

ـ وحبنا الكبير

ـ كان نزوة

ـ وجنيني ... إنه يصرخ ... في بطني يصرخ ... يصرخ ...

ـ لا أعرفك

ـ والفضيحة

ـ لا أعرفك.

تطن أجراس العار في دماغي ... ينهش الألم أحشائي في قسوة ... يكتسحني الدوار ... أصرخ ... أصرخ ... أنزل إلى الفوق ... أصعد الى التحت ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2

الممرضة تمرر يدها الرخصة على شعري ... تبتسم لي ... يعاودني وعيي ... أتذكر.

«عاد أبي منهار القوى ... فاقد الوعي، وارتمى مغشيا عليه في السقيفة ... فأقبلت أمي مفجوعة ... مذعورة ... وجاء بماء الزهر والعطرشاء ... وضمخت بها رأسه ... وجسمه المنهوك وأفاق ... وكانت الصاعقة لما تأكد من صحة الاشاعة.

أمي على فراش الموت، وإخوتي يتضورون جوعا».

الجيران يرقصون على أنغام ألمي ... يرددون.

ـ بنت البرني حبلى في دار بوها.

وهذا الجنين يتخبّط في أحشائي.

تائهة أنا، وضائعة كشراع وسط محيط هائج الأمواج. غريبة عن نفسي ... آه ... ما أقسى الغربة عن النفس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«التقيت بوالدي في «المارسنان» فأنكرني هو الآخر، ورماني بالعقوق والعهر. حاولت أن أقنعه فما أراد الاستماع، وعاد الى قسمه بالمستشفى.

3

البخور يعبق ... الشموع ترتعش ... التابوت صامت.

ـ ابتعدي عن التابوت.

وانتصب شيخ هزيل أمامي ... شيخ هرم خادم «سيدي بوقبّة» تقدمت في ذل ... قبلت يده ... بللتها بدموعي.

ـ آش بيك يا بنيّتي ؟

ـ ادعيلي سيدي الشيخ.

ـ المهم اعقد النيّة تنال مرغوبك.

4

نجيب أحبك.

ـ انتهت قصتنا.

ـ وطفلنا الذي سيولد ؟!.

ـ لا أعرفك.

«وكانت الفاجعة العظمى، لقد انتقلت أمي الى جوار ربّها. وتسلل أبي من المستشفى وغاب عن الأنظار».

وانتهى كل شيء.

بيت صغير ... باب نصف مفتوح ... حبل يتدلى أفكار سوداء تعصف برأسي ... ترميني في دوامة ... ترقص على أنغام ألمي وتردد :

ـ فضيحة ... فضيحة.

غرفة نظيفة ... سرير ... طاولة عليها علبة حليب، وكأس ... بعض الجرائد والمجلات المهملة ... وممرضة تهمس في حنان :

ـ لا بأس عليك.

ـ أمي ... أين أنت ؟!

ـ البقية في حياتك.

ـ نجيب.

ـ في السجن.

واسقط في نوبة ألم بلا حد ... فأصرخ وأعيش المأساة من جديد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن القضية في مسرحية :
«أنا... الحادثة»

ـ 2 ـ

بقلم : **عبد العزيز كمون**

الحركة والمكان

يلعب المكان دورا فعالا في هذه البنية التي تعمدت وفرة العدد في المشاهد. فالتنقل المستمر من غرفة الى أخرى إلى موقع الحادثة ... يعطي معنى أكثر لاطار الحركة ويتحول الى مرآة تعكس التقلبات النفسانية التي تعاني منها الشخصية الرئيسية.

ARCHIVE

والمكان يسجل في هذه المسرحية فضاء يحتضن سبعة مواقع يشمل الواحد منها عددا من المشاهد يصل أحيانا الى حد الثمانية :

ـ في الممر : المشهد 7.
ـ غرفة التجربة : المشهد 9.
ـ موقع الحادثة : المشهد 13.
ـ في السيارة : المشهدان 6 ـ 10.
ـ غرفة التحقيق : المشاهد 1 ـ 3 ـ 8 ـ 14.
ـ غرفة التوقيف : المشاهد 2 ـ 4 و 5 ـ 11 ـ 12 ـ 15.
ـ غرفة التعذيب : المشاهد 16 ـ 17 ـ 18 ـ 19 و 20 ـ 21 ـ 22 ـ 24.

ومن خلال هذا الجدول تتضح لنا درجات التمركز المكاني للحدث الذي لا يحفل كثيرا بالأمكنة الأولى باعتبارها نقاط عبور الى الغرف الساخنة حيث

تدور «العمليات» في ثمانية عشر مشهدا هي مركز الثقل في فضاء الحدث ومحور الصراع كله.

التحقيق

«وللكلاب عند بعض الشعوب سمعة سيئة من حيث الاعتماد عليها إلا أن تجاربنا لا تؤيد هذا فإن قوتها البدنية وسرعة جريها وذكاءها تجعلها صالحة بشكر مدهش للأغراض البوليسية ...

قد أثبت الكلب البوليسي على أنه ـ في ظروف كثيرة ـ قد يكون أنفع من عدد من رجال البوليس».

سكتلنديار ـ هارولد سكوت
مكتبة النهضة المصرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتجربة في قضية الحال كانت سلبية لا لأن الكلب البوليسي لم يكن في هذا الظرف ـ أنفع من عدد من رجال البوليس بل لأن هؤلاء كانوا أحسن من الكلاب في معاملة المتهم ولأن الادانة كانت جاهزة وكان التعذيب مقررا سلفا ...

انطلقت المسرحية من حادثة اجتماعية بسيطة وتكاد تكون مألوفة إذا ما ألقينا نظرة عما يجري داخل المحاكم يوميا أو ما تنشره الصحف من أحداث وقضايا تدين أبرياء وتجرّ فاعل الخير الى غرف البوليس وتعرضهم الى شتى أنواع التضييق والأذى. وقد اشتهرت أعمال فنية ومسرحية تعنى بتصوير هذه الظاهرة في حياتنا الاجتماعية الجديدة المعقدة التي تتشابك فيها النوايا الحسنة بنزعة الشر وتحريّات العدالة وتضيع الحقيقة في خضم الحركة النشيطة والزحام المقيت لحياة الناس[1]. وفي هذا الجو من يدري بعد حدوث الجريمة من يكون المجرم ؟ وأين كان ؟ وأين اختفى ...؟ فإذا انفضّ كل الناس من حول المتضرر جاء «فاعل الخير» كي يسعفه أو يرافقه الى

المستشفى أو يخبر مصالح الأمن فإذا به موقوف بل متهم بحادثة القتل حت يصبح هو «الحادثة».

(وتكاد تكون الحادثة نفسها في أعمال سينمائية وتلفزية عديدة وهي اسعاف رجل مصاب في اثر حادث مرور يتوفى بعد مرافقته الى المستشفى ويصبح المرافق له مورط في ارتكاب الجناية).

أما الحادثة التي تعرض إليها الخبّاز فهي ذات أبعاد أشد عمقا من ذلك كما سنبيّنه[2]. فمن المشهد الأول نستقي أنباء عن «أحداث أخرى بالغة الأهمية تجري بصفة موازية لحادثة الجريمة». وفي المشهد الثالث نلمس ضخامة الاجهزة الاعلامية «ودورها ازاء الأحداث الأخرى، من البداية إذ نشعر بأن هذه القضية مهما كانت معرّفة ومؤطرة من خلال شخص المتهم الذي كان واحدا من عامة الناس، فهي ذات أبعاد سياسية وعسكرية بارزة، ومن ثم فهي رمز «للأحداث الأخرى». والمتابعة لأطوارها وطور التحقيق فيها بالخصوص كشف عن الاطار الأشمل الذي يحتضن تلك الأحداث بل إن القضية التي كانت تبدو عدلية هي على وجه أصبح سياسية ـ نعم كانت تبدو عدلية، لكنها ليس كذلك وإلا لاعتنت المسرحية أكثر بأساليب التحقيق العدلي حول تشخيص الجريمة واختبار المتهم أو المتهمين الآخرين الذين ظهر أحدهم في النهاية بل لم يكن الأمر ليتوقّف عند تجربة الكلب وإنما يتعداها الى اختبار البصمات[3] والرورشاخ[4]. ولو كان المهم في هذه القضية البحث عن صحة الادانة أو ثبوت البراءة لاهتم المخرج بأحدث الطرق العلمية في التحقيق الجنائي كاستخدام جهاز كشف الكذب[5] واختبار تداعي الأفكار[6] وغير ذلك. وإنما كان المخرج يرمي الى ما هو أبعد من غرض بوليسي.

فعلى الرغم من قسوة التحقيق الذي يستغرق 9 مشاهد موزّعة بين أربعة محققين :

المحقق الأول : عدد واحد.

المحقق الثاني : 3 ـ 14 ـ 25 و 26 ـ 28.

المحقق الثالث : 8.

المحقق المدني : 17 ـ 21.

فقد حافضت المسرحية على صبغتها التجريدية ولم تدخل المسرحية في تفاصيل عن هوية المقتول إذ من الممكن أن يكون مُنْتَمِيًا سياسيا بالفكر أو الممارسة كما قد لا يكون، وعن دوافع الجريمة عما إذا كانت غرائزية أو عقائدية، كما أنها لم تول أهمية للتعريف بالمحققين سوى أنهم من نسيج واحد سواء كانوا مدنيين أو عسكريين سواء كانوا قلة أو كثرة فليس فيهم رجل رشيد لأنهم تخلوا عن رجولتهم وآدميتهم وصاروا أدوات طيّعة تماما مثل تلك الأجهزة. فهم يُنفِّذُون عملا مُقَدّرا ولا ينشدون حقا ولا حقيقة، والكل يتحرك في اتجاه محدد يمليه فكر معين. وأبت المسرحية مرة أخرى أن تحدّد هذا الفكر حتى لا تحيد عن تلك الصبغة التجريدية كما ذكرنا وإن كانت قدمت لنا نماذج من هذا الفكر نستشفها من طبيعة الأنباء الواردة من بعيد ـ هو بلا مناع الفكر الصهيوني[7]. لكن ليس ثمّة أية تفاصيل عن هذا الفكر. فالأمر لا يعدوا أن يكون إلا إشارة تاريخية أو سياسية دون أية إثارة للجدل حول هذا الفكر مما يجعل منه رمزا لجرائم التحقيق التي فرضتها النزعة العنصرية في «ساكوا وفانزاتي»[8] والفقيدة النازية في «مونسرا» والامبريالية الفرنسية في «جميلة».

التوقيف

جعل المخرج من غرفة التوقيف مرآة يعكس عليها المتهم كلما يختلج في صدره حول ماضيه القريب والبعيد وكأنها المكان المناسب لوقفة التأمل ورمز العزلة والمنفى. واتخذ منها حيلة مسرحية تعرفنا بواسطتها عن خلفيات الشخصيات وظروفها.

«المشهد الخامس : المتهم مع زوجته وكل ماضيه : التضحيات المقدمة منذ الصغر ـ العمل والمسؤوليات الأساسية ـ الأمل وضروريات الحياة وتقلّب الأوضاع المفروضة» والأهم من ذلك أن حضوره المستمر في هذا المكان بالذات ظلّ يطرح في إلحاح سؤالا بديهيا : ما الذي جاء به الى هذا

المكان ؟ غير أن الجواب ليس من البداهة بمكانة السؤال عندما يكون المتهم بريئا ولا يدري ماذا يصنع إزاء تطورات الموقف ؟ لأنه ليس الوحيد الذي يقع ايقافه من أجل ذنب لم يرتكبه.

جوزيف ك. بطل رواية «القضية» (ت. فرانز كافكا)[11] يجد نفسه متهما في قضية لا يدري ما هي فإذا بها تشغله عن كل قضاياه كما شغلت صاحبنا عن الطحين والخبر وإذا هو عرضة لتبعات الايقاف من تحقيقات وتحريات وما إليه.

وكذلك شأن الستة أشخاص الابرياء الذين جيء بهم من الشارع في مسرحية «مونسرا» (ت. إيمانويل روبلس) ثم يقع تعذيبهم كي يعلن مونسرا (المناهض لقائته الاسبان المستعمرين للشعب الفينزويلي) عن عنوان بوليفار زعيم المقاومة. فيضطرهم (أي الستة) الاقتناع بانسانية موقف مونسرا الى قبول التضحية من أجل صيانة المقاومة المشروعة في سبيل الحرية والانعتاق من نير الاستعمار والعبودية[12]. وبالتالي فقد اكتسى توقيفهم معنى البطولة والفداء بينما كانت الظروف أشدّ تعقيدا واستعصاء في قضية الحال إذا أن لا شيء يبرّر أسلوب المعاملة المسلط على الموقوف سوى الطبيعة العدوانية لتلك الأجهزة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهي لا تستند الى أية ضوابط قانونية بحيث تمنح الموقوف حق إعلام أهله بالتهمة التي علقت به أو حق قضاء الضرورة البشرية دون أي تعطيل. كل ذلك يحدث في جو من العلاقة بين المتهم والمتهمين يؤكد براءته من جهة وتعنتهم من جهة أخرى مما سيحول مختلف المواقف الى جملة من ألوان العبث فرضتها حتمية تلك الظروف اللامعقولة. فكل ما يحدث من جانب المتهمين من عدد المحققين وأجهزة التحقيق وكيفية ممارسته وما يعقبه من التعذيب الذي يصل الى درجة المحق والتدمير يجرّ المتهم الى الاعتراف بما لم يذنب أي الامساك بالطرف الآخر لعبثية الموقف الاعتراف المكذوب». هذه الدائرة اللامعقولة التي تَخْتَنِقُ داخلها الشخصيات ٰوالأحداث والمواقف مصير فاجع لأولئك الأبرياء العقلاء.

لكن ما هو موقف المخرج من كل تلك المتناقضات ؟.

نفهم من لجوء المتهم الى حيلة الاعتراف قدر محتوم أكره عليه لأنه بات مقتنعا بأن تمسكه بموقفه إزاء ما يحدث لم يعد مجديا إذ أن النية ليست متجهة الى التحري في وضع المتهم وإنما إلى الاصرار على تلبيسه التهمة فهو تحول مقنع خاصة إذا علمنا من خلال الاحداث ان التضحية بحياته لا تخدم طرفا إيجابيا في شخصيات المسرحية كما هو الشأن في مونسرا.

وهو اعتراف فيه إدانة صارخة للقائمين على تلك الاجهزة من خلال النتائج المتناقضة لأعمالها.

الصـــراع

لا يقوم الصراع في هذه المسرحية داخل الشخصية فهو ليس تراجيديا ـ كما هو الحال في مسرح شكسبير ورارسين ـ تتنازعه العواطف المتناقضة كالحب والشرف والثأر وغيرها على الرغم من تواجد هذه المعاني وما شابهها، وليس ذهنيا تتنازعه الأفكار والمذاهب بل هو صراع يضع الشخصية على خط المواجهة مع القوى الخارجية، وهي ليست قوى عينية مثلما هو الشأن في التراجيديا الاغريقية بل هي قوى مادية بشرية لكنها لا تتصارع مع مجموعة من الافراد متميزة بأخلاقها وموروثها الواجداني والفكري على غرار ما نجدها في الدراما الاجتماعية عند تشيخوف أوابسن، بل إن صراعها يقوم في مواجهة أجهزة ومن ورائها أنظمة هي من افراز مجتمع معين. هذا اللون من الصراع نجده ممثلا في مسرح المقاومة أحسن تمثيل إذ يستند الى عاملين أساسيين ومتلازمين هما التعذيب والمقاومة.

ويتقابل في هذا الصراع عادة قوى الشعب المؤمن بحريته وأرضه ووطنه ومن يتعاطف معه من جهة وقوى المستعمر الغاشم ومن يسانده من أطراف داخلية أو خارجية من جهة أخرى.

هكذا يدور الصراع في مسرحية برنارد شو «القدّيسة جون» بين الاحتلال البريطاني والمقاومة الفرنسية (في العصر الوسيط) وفي مسرحية

إمانويل روبلس «مونسرا» بين الاحتلال الاسباني والمقاومة الفنزويلية (في أواخر القرن الماضي) ومسرحية رومان رولان «سيأتي الوقت» بين الاحتلال البريطاني وشعب جنوب افريقيا (في أوائل هذا القرن).

والملاحظ أن هذا المسرح يستلهم مادته من التاريخ السياسي للشعوب فهو أقرب صورة الى فكر الجمهور ووجدانه على عكس ما نجده في مسرح اللامعقول الذي يقوم الصراع في بعض أعماله أيضا على فكرة التعذيب والمقاومة مع ان الصياغة تختلف اختلافا جذريا وتنحى منحى خاصا في تشكيل الرموز المجسّدة لذلك الصراع. وذلك لما ينطوي عليه هذا النوع المسرحي من طبيعة خاصة في انتقاء أدواته وكيفية تعامله مع الفنيات المسرحية. فنحن لا نستلم طرف اللعبة كما هو الشأن في مسرح المقاومة وانما يزج بنا فيها دفعة واحدة من البداية لاننا أبناء هذا القرن ـ بل أبناء المنتصف الثاني منه ـ وليست المسرحية في حاجة الى أن تقدم لنا إطارا معيّنا لأن كل ما يحدث خارج المسرح على الصعيد الحياتي الشامل والسياسي بالخصوص، يسهم في تشكيل هذا الاطار وإنما نحن بإزاء الافراز المرير لتلك الحياة القاتمة ولكن على الانسان بالرغم من ذلك أن يحياها ويقاوم تعذيبها له مهما كانت هذه المقاومة ضعيفة بائسة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب الدكتور محمد عنيسي هلال في نقده لمسرحية صموئيل بيكت «نهاية اللعبة» يقول «وشخصيات المسرحية تحركها خيوط مجهولة في فراغ الوجود، وقد اختيرت في قطاع عجيب من قطاعات الحياة. وقد استبدّ بها قلق ميتافيزيقي يفترض المؤلف أنه متأصل في القارىء أو المتفرج، ولذلك يجسّم المؤلف هذا القلق، ولكنه لا يبرره، ويؤكده دون أن يسميه؛ إذ الموقف مهيأ سلفاً، في شبه حلم ثقيل، كابوس، تتحرك فيه شخصيات يحطم بعضها بعضا، وقد سلبت كل وسيلة للتجاوب في مشاعرها، أو التفاهم بعضها مع بعض على أمر من الأمور، حتى على سوء التفاهم نفسه ... والشخصيات فريسة شباك حبكت حولها، فوقعت فيها مدفوعة ولكن مشلولة الارادة دون مقاومة تذكر ...»[13].

---

(1) في النقد المسرحي ص 37 و 45 للدكتور محمد عنيسي هلال ـ ط.

لقد تعمدتا الاطالة في هذا الشهادة لما فيها من القراءة الحرفية لأطوار الصراع في مسرحيتنا التي هي واحدة من مسرح اللامعقول بلا منازع. ونكاد نستشف مختلف المشاهد والمواقف في تلك القراءة. فهذا الحشد من المحققين الذين لا نكاد نعرف عن أمزجتهم وفكرهم شيئا سوى أنهم ظلّ لتلك الاجهزة ويعسر الى حد كبير أن نسمّيهم «شخصيات» فهم مجموع ظلال أو أشباح وقد تعمد المخرج أن يكسوهم أقنعة ـ دون اللجوء الى استعمال الاقنعة المباشرة ـ فعرّاهم من الأسماء والمشاعر والادراك الواعي لحقيقة الفعل الذي يمارسونه. هذا الفعل الناجم عن القلق الوجودي الذي يستبدّ بالانسان إلى حدّ الجنون والانتحار عندما يستحدث قوة جبّارة مثل تلك الأجهزة التي لا تلبث أن تستحوذ عليه فتصيّره عبدا طيّعا لها. ويصبح المهم في حياة «الانسان ـ الآلة» هو أن يستخدم تلك الاجهزة ولو بدون مبرّر أو غاية. فبعد أن بات من المؤكد أن المتهم بريء يصر المحقق على ساديته[14] فيتابع التحقيق مشبعا نوازعه بمزيد التعذيب والتنكيل بالآخرين. وتلتبس الغايات بالوسائل في عالم ينهشه الرعب والتخريب، ولم يعد شيء كما هو ولا يستقر أمر في موضع ما[15]. وتستحيل المقاومة الى عبث كما استحال التعذيب من قبل. تلك هي المواقف الرهيبة التي تسود علاقات الصراع المشحونة بالتوتر والتشاؤم إذ يجعل المخرج همّ المتفرج في شيء يسير هو مدى ما يملكه من أنفاس عندما يكون في وضع المتهم كي يتصدى لضرب السياط الملهبة. وهذا التشاؤم المفرط لا يدل على شيء سوى أن العربي لم يكن ولن يكون إلا في موقف دفاعي وبالتالي فإن الروح التي تحدوه هي للأسف محدودة الفاعلية.

كان بإمكان المخرج أن يسقط ذلك النداء المباشر الذي أورده في الخاتمة إذ يقرر فيه هذه الحقيقة المريرة حسب رؤيته بعد أن أخرج المتهم منتصرا على خصومه مرتين، مرة حين قاوم التعذيب وأخرى حين جنح الى حيلة الاعتراف.

مسرحية «أنا ... الحادثة» تجسم مأساة الانسان المسالم الذي يحمل فوق رأسه خبزا فيصلب فتأكل الطّير منه ومع ذلك فهو متهم ـ وأدنى تهمة قد تعلق به هو أنه يحمل الحياة للآخرين في وقت إما أن تقبل وإلا فإنك تقتل.

لكن هذا المتهم يصرّ على فعل الخير على حدّ تعبير كليفورد في مسرحية رومان رولان «سيأتي الوقت» : «إذا كان الأخيار ينسحبون من الحياة ... فلن يبقى فيها غير الأشرار».

إذا حملت أزمة الوعي العالمي سارتر على أن يدين القرن العشرين في مسرحية «سجناء ألتونا»[16] لأن النازية جعلت من انسانية اليهودي هدفا لمحقها فإن المسرح الوطني التونسي اعتمادا على رواية اسماعيل فهد اسماعيل وبإخراج الفنان البارع المنجي بن ابراهيم يدين الصهيونية في «أنا ... الحادثة» لأنها الهوية الجديدة لتلك النازية المستهدفة لانسانية العربي هذه المرة؛ لكنها إدانة تعوزها إرادة التحدي ولا تتجاوز فكرة الصمود. وكان بإمكان المخرج أن يلجأ في خاتمة المطاف الى بروز قوى من الخارج تتدخل لفائدة المتهم وبتعاطفها معه يقع تحطيم كل الآليات والأجهزة رمز الانتصار على العدو، ومع ذلك تبقى «أنا ... الحادثة» بصياغتها الطريفة وكثافة الرؤى المتناغمة في إخراجها حدثا فنيا بارزا في مسرحنا المعاصر ومنطلقا ثابتا وسليما لمدار النهضة المسرحية المنشودة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهـوامش

(1) مثال ذلك «قضية دومينيشي» (L'Affaire Dominici).

وهو شريط سينمائي فرنسي يدين التحقيق في جريمة قتل لا تعتمد الأدلة المادية، وإنما اكتفى القضاء بما وفره من أقوال الذين استنطقتهم المحكمة. ثم لم تلبث الأحداث أن كشفت عن خطإ ما ذهبت إليه من الاستنتاجات بعد تنفيذ حكم الاعدام في المتهم البريء.

ومن مشكلات التحقيق ما يطرحه شريط : «الشرطة تستعين» (La police demande l'aide).

وهو شريط سينمائي إيطالي يركز على الصعوبات التي يواجهها التحقيق الجنائي في محيط اجتماعي تفاقمت فيه الجرائم وأصبحت وسائل العمل محدودة القيمة كما يصوّر من جهة أخرى الدور السلبي الذي تلبعه الصحافة على مستوى التعامل مع أجهزة الأمن والمتاجرة بأنباء تلك الجرائم. وبالتالي فهو يدعو لمراجعة الموقف إزاء هذه الأجهزة من حيث أساليبها وعلاقاتها.

(2) التحقيق : مسرحية تونسية من انتاج المسرح الجديد بتونس وهي لئن كانت تنقد أجهزة القضاء في شخص قاضي التحقيق من خلال البحث في جريمة قتل. فالغرض الجوهري هو تعرية الواقع الاجتماعي من حيث تركيبته وصراعاته. وبالتالي فإدانته هي الغرض الجوهري للمسرحية.

(3) البصمات : يرجع التفكير في الاستفادة من البصمات الفردية في كشف الحوادث الجنائية الغامضة الى عام 1880، إذ حدث في ذلك الحين أن سطا لص على أحد المستشفيات في اليابان بعد أن تسلق أحد المداخن فترك آثارا سوداء واضحة لبصمات أصابعه على أسطح أثاثات المستشفى الناصعة البياض. وقد استرعت هذه الآثار انتباه الدكتور هنري فولدز من أوائل الرواد في علم تحقيق الشخصية الذي كان يعمل بذلك المستشفى فقام بفحصها ومقارنتها بالميكروسكوب ببصمات الفاعل الذي ضبط فيما بعد فتبيّن له مطابقتها لبصماته.

الجريمة وأساليب البحث العلمي ـ تأليف الدكتور حسين محمد علي، ص 198 ـ سلسلة : الجريمة والعلم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1966.

(4) الرورشاخ : وهي طريقة تنسب الى العلّامة السويسري هرمان رورشاخ Horman Rorschach (1884 ـ 1922). ويهدف اختبار الرورشاخ إلى ايضاح عاملين مهميّن في التحقيقات الجنائية لازمين للقاضي هما :

1 ـ دراسة التكوين النفسي الذي يصاحب أنواعا معينة من السلوك الاجرامي مثل جرائم العنف كالقتل والاغتصاب والسطو ... إلخ. للكشف عن العوامل اللاشعورية التي تؤدي بالانسان الى هذا الانحراف.

2 ـ الحكم على مدى مسؤولية المجرم عن جريمته إذا كان السلوك الاجرامي مرجعه خلل في التكوين العقلي، وبذلك يساعد القاضي على أن يصدر حكمه استنادا الى ما يتضح من فحص مسؤوليته، وذلك لأن قد تبيّن أن مجرد الفحص الاكلينيكي العادي الذي يقوم به الخبير النفسي لمجرم حتى يقدم رأيه للمحكمة لا يكفي في معظم الحالات للكشف عن العمليات العقلية بحيث يعجز الخبير عن الحكم على القوى العقلية بمجرد الفحص العادي ... ولكن اختبار الرورشاخ إذا قام به خبير مختص استطاع أن يكشف عما قد يخفي عن الفحص الاكلينيكي. [وقد] استخدم هذا الاختبار في دراسة نفسيات كبار رجال التاريخ الذين قدموا للمحاكمة أمام محكمة نورمبرج الدولية متهمين بأنهم من مجرمي الحرب في عام 1945، ومن الطريق أن نشير الى تقرير الخبير الاخصائي الذي تناول حالة الماريشال جُورَنْج فقد وصفه بأنه متوسط الذكاء ... تكوينه طفلي يحاول إخفاءه وراء مظاهر الشجاعة والبطولة ـ الجريمة (ص 251).

(5) جهاز كشف الكذب : البوليغراف ويسمى أحيانا المِفْضَاح أو كاشف الأكاذيب ... إشارة الى كونه يفضح ما تخفيهُ النفوس وما تنطوي عليه السرائر من أكاذيب ومخاتلات أو غش أو خداع. ومخترع الجهاز هو ليونارد كيلر Leonard Keeler وهو أول من فكر في جهاز يرصد حركات النفس وضغط الدم ومقاومة جلد الانسان لتيار كهربي ضعيف ... واستخدم الجهاز في كشف الكذب وانشأ أول مدرسة لتعليم طريقة العمل به في الولاياتْ المتحدة الأمريكية في عام 1926 ... [و] إذا كان جهاز كشف الكذب لم يرق حتى الآن في نظر رجال القضاء الى مستوى الدليل المقنع في اثبات الادانة أو البراءة في القضايا الجنائية، فإنه يؤدي في الوقت الحاضر لرجال التحقيق والمباحث الجنائية خدمات جليلة القدر ... والقيمة الحقيقية للجهاز لا تقف عند حد حمل فريق من المتهمين على الاعتراف وانما هذه الأجهزة قد تهدي المحقق إلى الطريق السوي الذي يتعيّن عليه أن يسلكه ليصل الى ضالته المنشودة في تعقب الجاني دون البريء ... والجهاز يحصر التحقيق في أضيق مجال مما يوفر على رجال الشرطة الشيء الكثير من الجهود والنفقات والأوقات الثمينة التي تبذل هباء مع أشخاص أبرياء. الجريمة (ص 269 ـ 283).

(6) اختبار التداعي اللفظي وكشف الجرائم : إذا ارتكب شخص جريمة قتل مثلا أو اغتصاب ... فإن الحادث يترك أثرا شديدا بربط الوقائع في ذهنه ربطا محكما يدوم وقتا طويلا ... [وثمّة] ثلاث عوامل رئيسية تؤثر في متانة «الروابط الفكرية هي الجدّة والتكرار والغرابة، ويلحق بها الأهمية والشذوذ والروعة والانفعالات النفسية، ويصبح عقل القاتل شديد التنبيه لكل ما له علاقة بِجُرْمِهِ عظيم القابلية للتأثّر بذكرياته. وإذا كانت الجريمة حديثة الوقوع لم يمض عليها زمن تكون قد هدأت فيه ثورة النفس فإنه يجتمع لدى الخبير عاملان قويان يعملان على تقوية الخواطر التي ارتبطت في ذهن المتهم بوقائع الجريمة ويساعدان على تشخيص نفسية تشخيصا فنيا دقيقا ... وهما عاملا الخطورة ... والحدّة.

والمتهم إذا عرضنا عليه أمر اختباره بالتداعي اللفظي فهو عادة لا يمانع لأنه يبدو له تافها لأول وهلة، وهو إن كان بريئا فهو لا يرفض لأنه لا يخشى ظهور الحقيقة، بل على العكس يهمه إظهارها. وإن كان مذنبا فهو يخشى الرفض حتى لا يجلب عن نفسه الشكوك والشبهات ...

أما أدوات الاختبار فهي «كرونسكوب» أو ساعة خاصة تقدر الفترات الزمنية بعشر الثانية وقائمة مجهزة من عدد وافر من الكلمات المختلفة (وجرت العادة أن تكون من 100 كلمة) ينتخب من بينها 30 أو 40 لها صلة بالجريمة ووقائعها وظروفها ومحتوياتها والاجراءات والتدابير التي اتخذت لتنفيذها. والأشخاص الذين

اشتركوا فيها أو كانوا حاضرين وقت وقوعها وعواقب ارتكابها ... [و] يطلب الباحث من المختبر أن يلفظ أول كلمة ترد على ذهنه بمجرد سماعه كل كلمة تلقى عليه من الكلمات الواردة بالقائمة على أن يكون جوابه عليها بأقصى ما يمكن من السرعة، ثم ترصد الأجوبة في مذكرة، كما ترصد أزمنتها بدقة بواسطة الكرونسكوب، أو الساعة. وبدراسة طبيعة مثل هذه الردود المترتبة على الاسئلة المتعددة المتصلة بالحادث والموجهة بدقة وأحكام في أثناء الاختبار قد يُوَفق الباحث الماهر الى استخلاص وصف مسهب وصورة واضحة لمكان الحادث وكيفية ارتكابه وأسماء من عاونوا المتهم وغير ذلك من التفصيلات وهو في غفلة كما يبدو منه ويشهد به قلبه ولسانه. الجريمة والعلم (ص 294 ـ 296).

(7) نفس المعنى يتأكد من عنوان الرواية «الحادثة 67» وهي إشارة واضحة لحرب جوان 1967 بين العرب واسرائيل. وفي هذا الصدد نذكر بشريط صلاح أبو سيف «الحادثة 68» (عن مسرحية لطفي الخولي «القضية») ويعالج نفس القضية من وجهة نظر مغايرة إذ يُقَدِّر صلاح أبو سيف قراءة في الأوضاع الداخلية التي أدّت الى الهزيمة ويؤكد على وجوب تغيير تلك الأوضاع بثورة ثانية مثل ثورة 1952 التي كانت الاطار الاصلي للنص المسرحي.

(8) حادثة مشهورة في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية عند أوائل هذا القرن ـ تحولت الى شريط سينمائي ناجح ـ يطرح قضية المهاجرين العاملين بأميركا الوافدين من الدول الأوروبية الفقيرة والضغوط السياسية والقانونية المسلطة عليهم بدافع العنصرية واغتصاب حرياتهم في الفكر والممارسة.

(9) Montserrat - Emmanuel Roblès. Editions du Seuil 1954 — Le livre de poche.

(10) «مأساة جميلة أو مأساة جزائرية»، عبد الرحمان الشرقاوي، دار المعارف بمصر، 1962.

(11) Le Procès - Franz Kafka - Gallimard 1957 - Le livre de poche.

(12) مسرح المقاومة : يكاد مسرح المقاومة أن يكون شكلا مستقلا من أشكال التعبير الدرامي ... فهو يتبنى فكرة «الانتصار النهائي» على مستوى المجموع وفي المدى الطويل، وهكذا يقترب من أبواب الملحمة، وهو يتبنّى فكرة «المأساة» على مستوى الفرد وفي المدى القصير، وهكذا يقترب من دنيا التراجيديا. فأبطال المقاومة قد يموتون دون أن تُثْمِرَ مقاومتهم انتصارا ما، ولكنهم يموتون وهم على «يقين» من هذا الانتصار. الدكتور غالي شكري ـ أدب المقاومة (ص 179).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(13) «في النقد المسرحي»، ص 37 و 45 ـ للدكتور محمد عنيمي هلال.

(14) Les infortunes de la vertu — D.A.F. de Sade 1969 — Garnier Flamarion.

(15) مسرح العبث : مسرح اللامعقول أو مسرح العبث (وسمّي أيضا النزعة المسرحية المضادة للمسرح l'anti-théatre)؛ تحل الحركة النفسية مكان مطابقة الشخصيات للواقع في المسرحيات قبله. يقول أوجين يونسكو وهو من كبار دعاته والمؤلفين فيه بالفرنسية «أما الحدث والتسلسل السببي فلا يصح أن نذكرها، بل علينا أن نجهلهما تماما ... وليس ثم مكان لدراما أو مأساة ... فالمأسوي يصير هزليا، والهزلي مأسويا ...».

ومسرح اللامعقول ذو معنى مزدوج فموضوعه من ناحية عبث الوجود، أو «رهبة الفراغ» في الكون، رهبة يعيابها العقل، ومن الناحية الأخرى يقوم بتصوير الوعي الحاد بهذا الفراغ والعبث، لا عن طريق المنطق الارسطي، بل عن طريق تجارب معزولة تتصل بأعماق النفس المرتاعة أمام مأساتها الهائلة اللامعقولة، أي المستعصية على الادراك، ولذلك يستعين هذا المسرح بالايحاءات الفرويدية فيما وراء عالم المنطق، كالأحلام كما يلجأ الى وسائل صور العبث المنطقي، كأقيسة المغالطة، أو التوجه الى غائبين، أو إلى أصدقاء خياليين، أو كراس خيالية، أو كإثارة ذكريات بين الواقع والخيال ... وفي ذلك كله قد تزدوج الشخصية الواحدة، وقد تكرر نفسها، أو تحل في أفعالها وأقوالها محل شخصية أخرى، أو تكون مجرد صدى لها، وقد تتضاد مع نفسها، لا في مجرد الادراك بل في التردد بين العقل والجنون، أو بين التذكر وفقد الذاكرة، أو بين الوعي المرهف والوسائل القاسية الغليظة والخلق الفظ ...

في النقد المسرحي ـ الدكتور محمد غنيمي هلال (ص 33 ـ 34).

(16) Les séquestrés d'Altona — Sartre Collection folio — Editions Gallimard, 1960.

نَـــدَى

خليفة الخياري
سليانة / 1988/10/21

أفاقت نَدَى من غيبوبتها مع منتصف الليل، فاستغربت وجودها في ذلك المكان. حدّقت مليا في الفتاة الجالسة على بُعد أمتار منها وهي مغرقة في مطالعة إحدى الصحف، غير مكترثة بالأنين المنبعث من طرف الغرفة ... حاولت ان تكتشف ملامح وجهها فلم يَتَسَنَّ لها ذلك لأنها مولّية وجهها الباب حتى تكون الصحيفة مواجهة للنّور دون أن ينعكس على وجهها. فكان لا يبدو منها إلّا شعرها الذهبي منسدلا على كتفيها وقد انحصر أعلاه تحت قلنسوّة بيضاء، فكان في تناسقه كأنه شلّال نهر جبليّ لا يرتطم بأديم ... ولما استحالت عليها معرفة الفتاة، حوّلت نظرها الى اليمني، حيث يفصل سرير شاغر بينها وبين كهلة تغطّ في نوم تتخلّله بعض الأنّات، سادلت أهدابها عن عينين غائرتين كأنهما الدهاليز، وبطنها المنتفخ يعلو وينخفض تحت اللحاف الأبيض الذي يحتضنها حيث لا يبدو منها الا العنق والرأس. التفت يسارا فلم تجد ما يدعو للدهشة أكثر من تعدّد الأسرة وما تحتويه من أجسام متمددة تحت الأغطية البيضاء، فكانت الغرفة كالمقبرة لولا الأنات التي تخترق هدأة الليل. وأحست بقشعريرة تسري في أوصالها، فحاولت النهوض ظانّة أن الأمر ليس إلا ضغث حلم، لكن الآلام لذعتها، وأحسّت بثقل في جمجمتها يحول دون فصل رأسها عن المخدّة. أنذاك فقط عرفت أنها في المستشفى. وعلتها البغتة لما نظرت الى النافذة الهوائية التي لا يفصل بينها وبين سطح الغرفة إلا موضع قدم، فكانت كما عهدتها منذ زمن لم تستطع تحديده، مشقّقة البلور، لكنها لم تنس سبب دخولها تلك القاعة، حيث زارت مشغّلتها لما أودعت هذا المكان لتضع مولودها الأول بعد مخاض عسير طالت ساعاته ...

وتشابكت الأسئلة في مخيّلتها : «لماذا أتِيَ بي إلى هذا المكان ؟» «ترى هل سألد ؟» ... «لكن كيف ؟» ... وتحسست بطنها بيدها فكان كما عهدته ... «عجبا ! ماذا سألد ؟ ربّاه أيكون النّذل قد تمكّن مني فعلا ؟؟»

أرادت استعادة آخر حدث مرّت به، فتصوّر لها الماضي كليل مدلهمّ لا يكشف الا عن ظلمائه ... ورأت ان لا مخرج ممّا هي فيه إلا بمناداة الممرضة. ولكنها خيّرت جلب انتباهها بأي حركة، فأطلقت زفرة حرّى، التفتت على إثرها الممرضة، ثم رمت الجريدة على الطاولة وأسرعت إليها مفترّة الثغر، ثم عادت مسرعة لتنقل الكرسي الى جانب سريرها قائلة :

ـ الحمد لله، كيف الحال الآن ؟

ـ بخير، لكن ...

ـ خير إن شاء الله، لا تنزعجي، لا تحاولي القيام، صبرا أختاه.

ـ لماذا ... كيف ... ماذا حدث ؟ أجيبيني، أين أنا ؟.

وتناثرت دموعها، وانتفضت تريد القيام، فهلعت الممرضة، وأسرعت لتمسك بكتفيها، محاولة تهدئتها ... لكن نَدَى إكتشفت مَا أغناها عن توسّلات الممرضة، فتهالكت شاخصة ببصرها إلى يَدِها المشدودة للفراش، ولم تكن قد علمت قبل بهذا الخيط الذي يربط يدها بقارورة معلقة على الحائط، وقد صلبت نحو الأسفل كأنها المسيح ... فأخذت في حركة محمومة تدير رأسها شمالا ويسارا، والدمع ينهمر من مقلتيها، حتى رَاودها الدّوار، فأغمضت عينيها، ولاذت بالصمت صاغرة، دون ان تنبس ببنت شفة. وبعد دقائق غادرتها الممرضة وقد ظنّت أن الاغماء عاودها.

وبعد هنيهة سمعت وقع أقدام مزدوجة، لكنها لم تفتح عيناها إلا على همسة يكسَها الحنان قرب وجهها «نَدَى يا حبيبتي». وحرّك الوجه الصبوح الذي لامس وجهها، غامرا إيّاه بالقبل، في ذاكرتها كل ما كان منذ ساعة كالجلمد. وأبحرت بسرعة عجيبة على مركب الماضي، فعاودها الصّبَا حاضرا

بالحنوّ والحبّ الذي بذل من أجله هذا الوجه كل طاقته حتى اغتالته الأيام ... وخارت قواها، وأتى الدمع ما عجز عنه اللسان، لكن نشوة اللقاء كانت كمراسم الجنازة هيبة وجلالا لما سبقها من لوعة الفراق وشقاء الحياة. فما نطقت نَدَى إلا لتجيب أمّها ـ كما تدعوها ـ لما قالت :

ـ نَدَى يا حبيبتي، هوّني عليك، أعرف أن لديك اسئلة كثيرة، لكن تمهّلي فالصبح على الأبواب، ولا يصحّ إفزاع النائمات الآن.

ـ لا، لا، أرجوك يا أمّي قولي لي ماذا حدث.

وكان صوتا مزعجا، أفاقت على إثره النائمات، وحاولت بعضهن النهوض، وتضاعف الأنين، وانطلقت الممرضة تهدّئهن وهي تلقي نظرة عتاب على نَدَى وهي ما انقطعت عن الصياح.

ـ قولي يا أمي بربّك، لماذا حُملتُ إلى هنا، أين سيدتي ؟.

ـ مهلا يا صغيرتي، لا تهوّلي الأمر (وأجهشت باكية هي الأخرى).

ـ أمّي ماذا يبكيك ؟ صارحيني.

وقالت إحدى المريضات متثائبة : «ساعديها يا سيدتي، ولا تتحرّجي، فهي صغيرة، وقد حدث ما كنت تخشينه، فلا بدّ من تذكيرها». وكانت تقصد بـ (وحدث ما كنت تخشينه)، قيام كل النائمات اللّاتي لا تريد إفزاعهن. غير أنّ ندى ظنّت ذلك متعلقا بما ستروِيه أمها، فخامرها الشك الذي طالما حاولت نبذه منذ مقدم أمها. وارتسمت صورة ذلك الشاب الأسمر أمامها، وهو يلاحقها في الشارع بدراجته النارية الفارهة، وكانت كلما غادرت المنزل الا ورأته يغادر المقهى المجاور له، فيمتطي دراجته ويلازمها أينما ذهبت، ويعود متى عادت، مصدّعا أذناها ـ بين الفينة والأخرى ـ بما نمّق من معسول الكلام لمثلها، مصمّما على النيل مما حباها الله به من فتنة وبهاء ...

وآخر ما صورته ذاكرتها بصعوبة بالغة، كان ما حدث بالأمس القريب، فتبدو لها صورة ذلك الفتى وهو يقترب منها بدراجته ويمسك بيمناها، داعيا

إياها إلى مصاحبته، لمّا بلغت نهجا مقفرا، لا يعبره إلا المسرعون. وكانت لما أصابها من الهلع أعجز من أن تصرخ مستنجدة، حتى نزل ذلك الملاك السَماوي، وتبدو صورته الآن واضحة، وهو يسرع للامساك بالمجرم من يده ... وهنا تغمض عينيها لما ارتسمت صورته وهو يستل الموسى من ثنايا ثيابه ويوجهها الى كتف المعلّم ... ثم تعيد فتحهما على تلافي المعلم للطعنة بمحفظته، وَيُرَى وجهها خليطا بين الفرح والخوف والنّدم، وهي شاخصة إلى المدية المنغرسة في أحشاء الكتب والكراسات، والمجرم يسرع بدرّاجته ليختفي عن الأنظار ... وعاودها ذلك الصّوت الحنون وهو ينصحها : «إسرعي يا صغيرتي قبل أن يكرّ إلينا المجرم بعصابة».

وعند هذا الحدّ يقف دور الذكرى لأن ا لحاضر ليس من مشمولياتها فتلتفت نَدَى الى أمها لتستوضحها فرأت على محيّاها من الدهشة والكآبة ما جعلها توقن ان العصابة تمكنت منها كما رأى المعلم، وان سرّ تواجدها في قسم التوليد نتيجة لذلك ... غير أن بعض الأمل مازال لم يخمد بعد. وذلك سرّ تحريظها لأمها من جديد لتتم الحديث رغم ما خالجها من الخجل ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أمّي ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ بعد ماذا يا صغيرتي ؟

ـ بعد ما خلّصني المعلم من ...

ـ آه، اتذكرين ذلك، حمدا لله وشكرا.

ـ لماذا لم يأت المعلّم ثانية لنجدتي من هؤلاء ؟

ـ لقد كانت أسرع من نجدة المعلم يا حبيبتي.

ـ من هي ؟

ـ ذلك السّيارة، رغم طيبة قلب صاحبها وبراءته.

ـ أكاد أجنّ يا أمّي، وعن أي سيارة تتحدثين ؟

ـ تمهّلي، تمهّلي ... لما أطلقت ساقيك للريح فارّة، باغتتك سيارة في المنعطف الذي يلي ذلك النهج، وفي محاولة لتلافيها، انكفأت على ظهرك، واصطدم رأسك بالاسفلت، فأغمي عليك ... وحملك صاحب السيارة الى المستشفى، وهو لا يزال يستفسر عن حالتك حتى الساعة، وكان يخاطبني بالهاتف عندما أفقت، حيثأعلمتني رفيقتي، فتركته وأسرعت إليك.

ـ وسيدتي ؟.

ـ أعلمتها بالأمس عن مكان تواجدك، فأجابت أنها تعلم ذلك وستزورك غدا. ولما تيقّنت مليا مما تبطنه، أعلمت مؤسستنا، فزارك طبيبها، وكنت في غيبوبة تامة. لكن طمأنني بأنك ستستفيقي بعد يوم وليلة على أقصى تقدير، لأن الاصابة لم تكن على غاية من الخطورة.

ـ وماذا تبطن سيدتي ؟

ـ لا أظنك تتذكرين لصغر سنك يومئذ، تلك اللعينة لما اختارتك لتتبنّاك، وكان زوجها يريد ولدا. وبعد نقاش حادّ في بهو المؤسسة سمعت أغلبه، أذْعَنَ لأمرها، وكنت أدعو الله كي يأخذا الولد ويتركانك إلي، لأنني كنت أرتّب أمري بعد وفاة زوجي لأتبنّاك وأخرجك من دار الحضانة، عملا بوصية أمك رحمها الله.

ـ وماذا أوصتك أمي، وكيف تسنّى لك معرفتها ؟

ـ لقد أرسلت لحملك الى دار الحضانة، لما أوشكت امك على الموت وهي تصرخ لافظة أنفاسها الأخيرة : «احمليها، احمليها، أنت أمها، أنت امها ...» وقد احببتك حبّا لا يوصف، وقد رأيت فيك العَزَاءَ، لما حرمني الله نعمة الانجاب. فأنسيتيني مرارة موت زوجي لما علّقت عليك من آمال. وعاودني الألم لما حلّت تلك الفاجرة كاللعنة، واستشرت احدى صديقاتي وهي زميلة لها في العمل فزادتني إيلاما بما ذكرت :

وما ذكرت صديقتك ؟.

ـ ذكرت أهم ما سطّرت تلك الجهنمية من مخططات بعد أن أضناها العقم عندما تاقت نفسها الى الانجاب، وملّت الارتحال من عيادة الى أخرى، تداخلت نصائح الاطباء ... غير ان بريقا من الأمل كان قد عاودها أخيرا لما حطّت الرحال في فرنسا، ثم عادت بنتيجة تتوسط اليأس والأمل، حيث علمت أن مثل حالتها قد تتبدّل بعد سنة أو أكثر فتنجب، مع ان الأمر ليس إلا احتمالا. ومن ثمّة تبنّتكِ خوفا من المجهول الذي تنتظره. غير انها ما إن أحست بعوارض الحمل حتىٰ ندمت على تسرعها، فأجهَدَتْكِ، وملأت ساعات فراغك وبعض من ليلِك بما يلهيك عن الدروس، من طبخ، وغسل، وحدادة ... حتى أعدمت فيكِ روح التحصيل، فانقطعتِ عن الدرس، وأصبحت كما إرتأت خادما لأميرها. والأدهى والأمر، أنها زرَعت فيك روح الذل والخضوع، وفرضت نفسها سيّدة، وضربت عرض الحائط بشروط الحضانة، وعاطفة الأمومة.

وكنتُ قد كرهتُ دار الحضانة، لمّا أحسست بالخزي وتأنيب الوصيّة التي تحمّلْتها، فقدّمت إستقالتي، وصادفت أيام البطالة التي قضيتها بروح مهزومة، مناظرة لقبول ممرضات، فكنت بينهن، وكنت من الناجحات كأن القدر قد مهّد بذلك لهذا اللقاء، وكان الطبيب الذي فحصك قد أمر بوضعكِ تحت المراقبة رغم بساطة الاصابة، لكنه خير ذلك لأن إصابات الجمجمة مهما كانت بسيطة ... قد تفرز اعراضا خطيرة بعد الشفاء، ولما كانت كل الأسرّة مشغولة، وضِعْتِ مؤقتا في قسمنا نظرا لتوفر الاسرّة الشاغرة، على أنني لا أرى في ذلك إلّا قدرا يجسّم أقداره.

وكانت الممرضة الحاضنة تتحدث على مدى هذه الأحداث وهي ملتفتة للنساء اللاتي كن يصغين لها بكل انتباه ودهشة، وما ان أتمت، حتى التفتت الى نَدَى وطبعت على جبينها قبلة دامت دقائق، لكنها أعقبتها بزعقة مدويّة، وسقطت مغشيا عليها للخطب الأليم. وسارعت الممرضة الثانية لايقاظها، مندهشة، وهي لم تعلم بعد ان نَدَى قد رحلت الى عالم الطّهر، دون أن تعرف سبب وجودها في قسم التوليد.



حينما يسقط القلم!

سألتك عني...
عن زهور تنمو في كبرياء،
كالسر وينحدى السماء،
على تلال فوق جسدك...

تكبلني

سألتك عنك...
عن أبي، الزائغ النظرات،
عن جدتي، هذا الشاهد،
يسجل سقوط «الستين» والأهرامات...
أمام عينيك والندى الاتي منك.
سألتك عن الوطن...
عن قلمي، يشح كنبع القرى،
عن وجهي يغتصبه الماضي،
ليحيله الحاضر رمادا وذكرى..
ويتيه بين راحتيك تفتته..

المحن.

سألتك عن القصيدة..
عن جسد بحجم الأنين،
عن ريح تأتي على أصابعي،
تقتلعها كأشرعة لا تعرف الحنين
وتظل تحلم بغيث السماء..

أغنية شهيدة

سألتك عن الكل..
عن اليأس والأمل....
وعندما هوى القلم وارتبك،
أجبت... لأني أحبك... .

محسن ملوح
قصر قفصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومضات من الذكرى

الأهداف : إلى أميرة الحب والقلب

ـ امرأة الحلم ...
يا امرأة
تيهي في أوراقي
كما تهت
في عينيك
عزقا
عشقا
لغدشة
فكوني
أيا شقراء
امرأة الحلم ...
شقراء
أموت
وتموت على شفتي
قصائدي العذراء
تأتي القصيدة
وغراب يفتح صدره
شقراء
أين أنت
احزاني قبر فوقه وردة
دعيني
دعيني أردد في الوهم
عشقي
دعيني اكتب القصيدة
كان بودي الا اجاهر
لكن يا حبيبتي
مدى صهوة الحلم
أراءها في عينيك
كالعمر الأول احبك
كقصيدة شعر أنت
عشق
امرأة تأتي من بعيد ...
بعيد ...
تطرق بابي
ثم تفرش الورد ...
والحرير ...
تأتي مع كل فجر
ميالة
تستقبل يومي الجديد
تأتي
عاشقة
تسقط في قبو القلب ...
تستحم بوجعي
وعري ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت تجامل ودي وعودي
بمعسول الكلام
وذات صيف
من شهر جوان ...
كان قلبي يمشي ويمشي
وفجأة
في زمهرير الشمس
التقينا
رحلة
وأهرب مني اليك ...
أتيك ...
من مئذنة الداموس
محملا بالفرح
والزغاريد
في كفي وردة
وقصيدة
لبيني أخذت عقلي
وطارت بقلبي

حيث أكون
أنا ...
يا أنا ...
يا أنا ...
غرق
يضيق البحر
وأنا والمدى في انتظار
شقراء ...
فكوني جناح المدى
ليكون في بحر عينيك
أنا الغريق ...
آه ما أروع الغرق
ان كان الغرق في عينيك
عشقا
لغة
فذوبي كما ذبت فيك
أيا شقراء
زهرة النار انطفأت في ـ أحبك ـ أحبك

عمر أولاد وصيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـوعـــد

هنـاك مـع المـوعـد كانت
فتـاة سمـراء ولا تـزال
هنـا التقيـنـا، هنـا افتـرقـنـا
سبقـنـا القضـاء، تركنا القـدر
هنـا اللقـاء مـع الذهـول
هنـا الفـراق مـع الأمـل
آه أيتـهـا السمـراء
أمَـا مـن طريـق
أمـا مـن أمـل
آه أيـتـهـا الثكـلـى
بمليـون شهيـد
لا تحـزنـي
لا تتـركـي الوليـد
فعمـرنـا مديـد
حتمـا سينتصـر
عقـد الذهـب
فستـاننـا الحديـد

منيـة الـزغبـي
تلميذة بالمعهد الفني بسليانة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com